تاريخ الزمان

BAR HEBREWS

1987

مطبعة شفيق ـ بغداد

ܟܬܒ̈ܐ ܕܣܘܪܝܝܐ ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ
Syriac Literature: Bar Ebroyo
Beth Mardutho Library

ابن العبري

ذكرى و عبرة

-H 819-

اهدوم بهذا

ابن العبري

ذكرى وعبرة

اليوبيل المئوى السابع لوفاة العلامة ابن العبرى

« فى العراق »

إعداد وتنسيق

صليبا شمعون

مطران الموصل وتوابعها للسريان الأرثوذكس

مطبعة شفيق ـ بغداد

الاهـــداء

- الى من طوق جيد الكنيسة السريانية بافضـل القلائد· ·وتوج هامتها باروع الدرر وانفس الخرائد ·
- الى رائد الفكر السرياني غير منازع ومنـار العلم والمعرفة اللامع ·
- الى شيخ فلاسفة السريان وكبير ادبائهم واميـر شعرائهم ورأس حكمائهم وامام نوابغهم وصفـوة احبارهم ·
- الى من سكب ذاته ليسقي البشرية ماء حيا ويقـدم لها عصارة فكره غذاء روحيا ·

الى روح الفيلسوف العلامة

ابن العبري

عربون حب ورمز وفاء

المقدمة

كلما دار الحديث عن قادة الفكر او بناة المجتمع او رواد الحركات الانسانية والعلمية ، انتقلت بى الذاكرة وهفا الذهن الى ذلك الانسان الذى عاش ومات لربه ولاخوته فى الانسانية ، مكرسا حياته للعلم ، وجاعلا ذاته مشعلا وضاء ينير الدرب امام الناس للسير قدما نحو الكمال والقداسة والسعادة ٠

كلما تذكرته هاج بى الحنين واشتدت الرغبة الى الاصغاء الى صوته العذب الآتى عبر العصور والداعى الى المحبة والوفاق والصفاء٠ والذى مازال رنينه ملء مسامع الاجيال ، واعنى به العلامة ابن العبرى احد اقطاب الفكر الدينى والعلمى والاجتماعى الذى ترك للبشرية ثروة علمية عملاقة وتراثاً فكريا قيما ينم عن نبوغ يتيم وعبقرية فريدة ، يجذب اليه النفوس الظمأى الى افاويق الحياة المثلى لتروى ظمأها من روافد علمه وموارد تقاه ٠

كلما تذكرته جاشت فى نفسى أحاسيس التقى وملأ مسامعى رنين الحب وهزنى الشوق الى ينابيع المعرفة الثرة التى اتخذ منها علامتنا قوته اليومى الذى لاينفذ ومشربه الروحى الذى لاينضب ٠ لقد هام بالمعرفة ايما هيام وارتشف كأسها حتى الثمالة وامسك بناصيتها واحكم قيادتها وكشف اسرارها وعكس مفاعيلها على

الملأ جاعلا منها منارا يسترشد به اولئك الذين هامـوا على وجوههم في متاهات هذه الحياة المظلمـة دون رؤية أو رشـاد • فيعودوا الى طريق الصواب حيث النور والطمأنينة والسلام(١) •

من هذا الرعيل من الرجال كان علامتنا ابن العبرى الذى عشق الخلود وادرك ان الذى يخلد الانسان هو الانسان ذاته لاغيره ، وان جل مايفعله الاخرون عندما يحيون ذكرى عـظيم أو زعيم بأى شكل من الاشكال انما هو تعبير عن عمق حبهم واجـلالهم له وعن المكانة السامقة التى يحتلها فى قلوبهـم ، وتقييم لاعمالـه او سـجاياه او قدسية سيرته او تضحياته فى سبيل ربه او امته او وطنه او البشرية، وتقديمه للشعوب مثالا يحتذى به للسـير فى اثـره من اجل سـلام البشرية ورفاهها • فهذه المزايا هى الـيراع الـذى يسـطر اسـم الانسـان فى سـجل الخـالدين •

ولقد احسن المجمع السـريانى الانطاكى المقـدس صـنعا فى اختياره هذا العبقرى العملاق ليكون موضع تكريم واجلال من قبل ابناء الكنيسة السريانية فى سائر الاقطـار ولكى تفتح صـفحات حياته المفعمة بكل قيم ونفيـس امام الجماهير ليطلعـوا على مآثره الخالدة وعلى ما اسداه من خدمة مثلى لابناء البشـرية ، وكيف انه يعد بحق ، احد أبرز دعاة المجتمع الفاضل نظير افلاطون والفارابى وسواهما • ان هذا الرجل يكاد يكون مجهولا فى العديد من الاوساط ولاسيما وسطنا العربى والعراقى خاصة فقلما نجد اشارة ولو عأبرة الى هذا المبدع المعطاء من أى كاتب يأتى على ذكر المبدعين القدامى فى مختلف المجالات فى الوطن العربى وفى قطـرنا العـراقى بصـورة خاصة علما بأنه عاش فى الوسط العربى وكتب العديد من مصنفاته العلمية باللغة العربية وترجم منها واليها ، وعاش الثلث الاخير من حياته فى العراق بالذات ، زخم خلالها عـطاؤه الفكرى ، ومازالت

---

(١) نقلت هذه الفقرة من مقال لنا نشر فى مجلة الفكر المسيحى — المعـد •

ارض العراق الطيبة تضم رفاته الطاهر • وقد يعود سبب ذلك الى ندرة مؤلفاته المطبوعة باللغة العربية فى حين ان معظمها مترجم ومنشور باللغات الاجنبية • لذلك فان شهرته فى الغرب اكثر استفاضة منها فى الشرق •

وقد رأينا ان مجرد اقامة احتفال او ندوة هنا او هناك لايفى بالغرض المنشود وان الهوية الحقيقية لهذا العلامة الخطير ستستمر مجهولة بعيدة عن آذهان الكثيرين حتى عند اولئك الذين لهم اهتماماتهم فى الشؤون العلمية • لذلك آثرنا جمع كل ماقيل عنه فى كل من ابرشيات العراق الثلاث ، فى الندوات التى أقامتها احياء لهذه المناسبة ،ونشرها بكتاب يكون فىمتناول يد الجميع ليطلعوا على سجل حياة وفكر هذا الرجل العظيم • وعلى مآثره الكثيرة واعماله الجليلة والثروة العلمية الفياضة التى تركها ذخرا للبشرية • وهنا لابد من الاشادة بموقف صاحبى النيافة مار سويريوس حاوا مطران بغداد والبصرة ومار ديوسقورس لوقا مطران ابرشية دير متى لتشجيعهما الفكرة ولاسيما وان نيافة المطران لوقا أبدى مشكورا ، رغبته فى طبع الكتاب على نفقة دير مار متى • والكتاب الذى نقدمه الى القراء الكرام ماهو الا مجهود متواضع يميط اللثام عن هذه الشخصية العالمية ، وتعبير عن مدى المحبة التى يكنها ابناء الكنيسة فى العراق لهذا المفكر الانسانى الكبير الذى لم تشغله اهتماماته بكنيسته كرئيس لها فى المشرق عن الاهتمام بما يؤول الى خير البشرية جمعاء • وهكذا كان ابنا بارا للكنيسة وللبشرية على حد سواء وفى آن واحد •

اننا لاندعى بأن كلما جاء فى هذا الكتاب هو بمستوى الطموح، او انه كاف لكشف هوية ابن العبرى العلمية الحقيقية ، لكنه اسهام مشكور من قبل الكتاب الافاضل ومجهود مبارك يلقى الاضواء على جوانب هامة من هذه الشخصية الفذة وافكارها يضاف الى ماسبقه من اسهامات فى هذا المضمار • ولقد اجرينا بعض التنقيح على

قسم من المقالات واختصرنا بعضها كما نسقنا بين بعض المقالات المتشابهة مبنى ومعنى والمعتمدة اصلا على نفس المصادر ، وقد جاء هذا التشابه نتيجة لانفراد كل ابرشية بندوة مستقلة دون تنسيق البرامج فيما بينها ٠

وكلنا أمل فى أن يعود هذا الكتاب بالفائدة الى القراء الكرام ويكون حافزا لهم على المزيد من البحث والتعمق فى معرفة شخصية ابن العبرى واعماله الجمة وكنوزه الثرة ليغترفوا مايروى ظمأهم من منهله الصافى العذب ، ويكتشفوا المزيد من هذه الكنوز والله ولى التوفيق ٠

ـ صليبا ـ

الموصل فى ١٩٨٧/١/١

عرض تفصيلي للمهرجان

احتفاء بذكرى العلامة الكبير مار غريغوريوس يوحنا ابن العبرى ، وتنفيذا لقرار المجمع المقدس باعتبار عام/١٩٨٦ (سنة ابن العبرى) لمناسبة مرور ٧٠٠ عام على وفاته • اقيمت احتفالات وندوات في ابرشيات العراق ، كل على انفراد ، تضمنت محاضرات ودراسات وكلمات متنوعة الى جانب نشاطات وفعاليات اخرى •

ففى ابرشية الموصل اعدت لجنة التعليم الدينى برنامجا مكثفا حافلا تضمن اقامة ندوتين عن صاحب الذكرى، الاولى فى دير مار متى والثانية فى كنيسة الطاهرة الخارجية فى الموصل • وقد سبقت الندوتين حملة اعلامية على الصعيد الكنسي شملت ملصقات جدارية حملت صورة ابن العبرى ولوحات نقشت عليها اقوال مأثورة له ، كما طبع ملخص لسيرة حياته وارفق ببرنامج الاحتفال ووزع على الحضور فى كلتا الندوتين •

عقدت الندوة الاولى فى دير مار متى الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة ٧/٢٥ ، وقد سبقتها اقامة قداس فى السابعة والنصف، احتفل به نيافة مار ديوسقوروس لوقا مطران ابرشية دير مار متي، القى خلاله كلمة حصرها فى الحديث عن ابن العبرى فى فترة وجوده فى الدير • وحضر الندوة رهط من اكليروس مختلف الطوائف وفى طليعتهم صاحبا السيادة المطران عمنوئيل بنى للسريان الكاثوليك ، والمطران توما للكنيسة الشرقية القديمة ، وجمهور وفير جدا من أبرشيتى الموصل ودير مار متي ، اكتظت بهم القاعة وباحات الدير ونقلت اليهم تفاصيل الندوة عن طريق مكبرات الصوت •

افتتح الندوة نيافة المطران صليبا موضحا الاسباب التى دعت لجنة التعليم الدينى الى اقامة هذه الندوة فى الدير ، منها ان الدير كان مباءة للعلم ومصنعا للعلماء واشعاعا للفكر السريانى من جهة ومن جهة اخرى لانه يضم رفاة صاحب الـذكرى الذى امضـى فيه بضع سنوات • وبالمناسبة اقترح على نيافة المطران لوقا اطلاق اسم (ابن العبرى) على القاعة التى هيأها نيافته • ومن حسن الصدف ان يكون نيافته هو الاخر قد فكر بهذا الامر ، وهكذا اطلق اسم ابن العبرى على هذه القاعة التى كانت مهملة قبلا • فأعـاد اليها نيافته الحياة بشكل رائع وجعلها لائقة باقامة الندوات واللقاءات الروحية والثقافية • وكانت لجنة التعليم الدينى قد كلفت الشاب الافودياقون هاني متي صاروخـان بتكبـير صـورة ابـن العبرى المنشـورة فى احدى المجلات ، فرسمها زيتيا بقياس ٨٠ × ٦٠ سم وباتقان تام • وقدمتها هدية الى الدير لتزين صدر القاعة ، فتسلمها نيافة المطران لوقـا بين هتاف الجماهير وتصـفيقهم • وكـان لهذه المبـادرة وقع استحسان بالغ لدى الجميع •

كلمة الترحيب القاها الاستاذ لوقا متى مشيرا الى أهمية احياء ذكرى رجالات الكنيسة العظام • ثم تناوب والشماسة السيدة جمال يوسف حاوا على تقديم فقرات الندوة • فالقى الافوديـاقون زهير جورج توزة كلمة ضمنها ترجمة حيـاة ابن العبـرى ، تـلت ذلك انشودة (بيعة الله استعيدى) أدتها الشماسة عالية سـعيد بصحبة جوقة الترتيل الكنسية • ثم قدم العريف نيافة المطران صليبا فالقى محاضرته المعنونة (ابن العبرى والتشريع) تلاه السيد مؤيد القس هادي فالقى قصيدة عربية • ثم قدم الدكتور وسام ابراهيم الشماني محاضرته عن فلسفة الاخـلاق عند ابن العبـرى ، عقبه الافدياقون عامر اسكندر فالقى قصيدة سريانية مع ترجمتها العربية • وكان مسك الختام محاضرة الاستاذ سهيل قاشا عـن ابن العبرى فى نظر الاختصاصيين والمؤرخين • هذا وقد تخلل فقرات البرنامـج تقديم بعض الطرائف المستقاة من كتاب « الطرائف » لصـاحب الذكرى •

وقد عبر الحضور عن ارتياحهم التام وتقديرهم لمعدى الندوة • وبعد ان جلس الاكليروس وبعض الضيوف على المائدة السخية التى أعدها مشكورا نيافة المطران لوقا • غادروا الدير • هذا وقد سجل

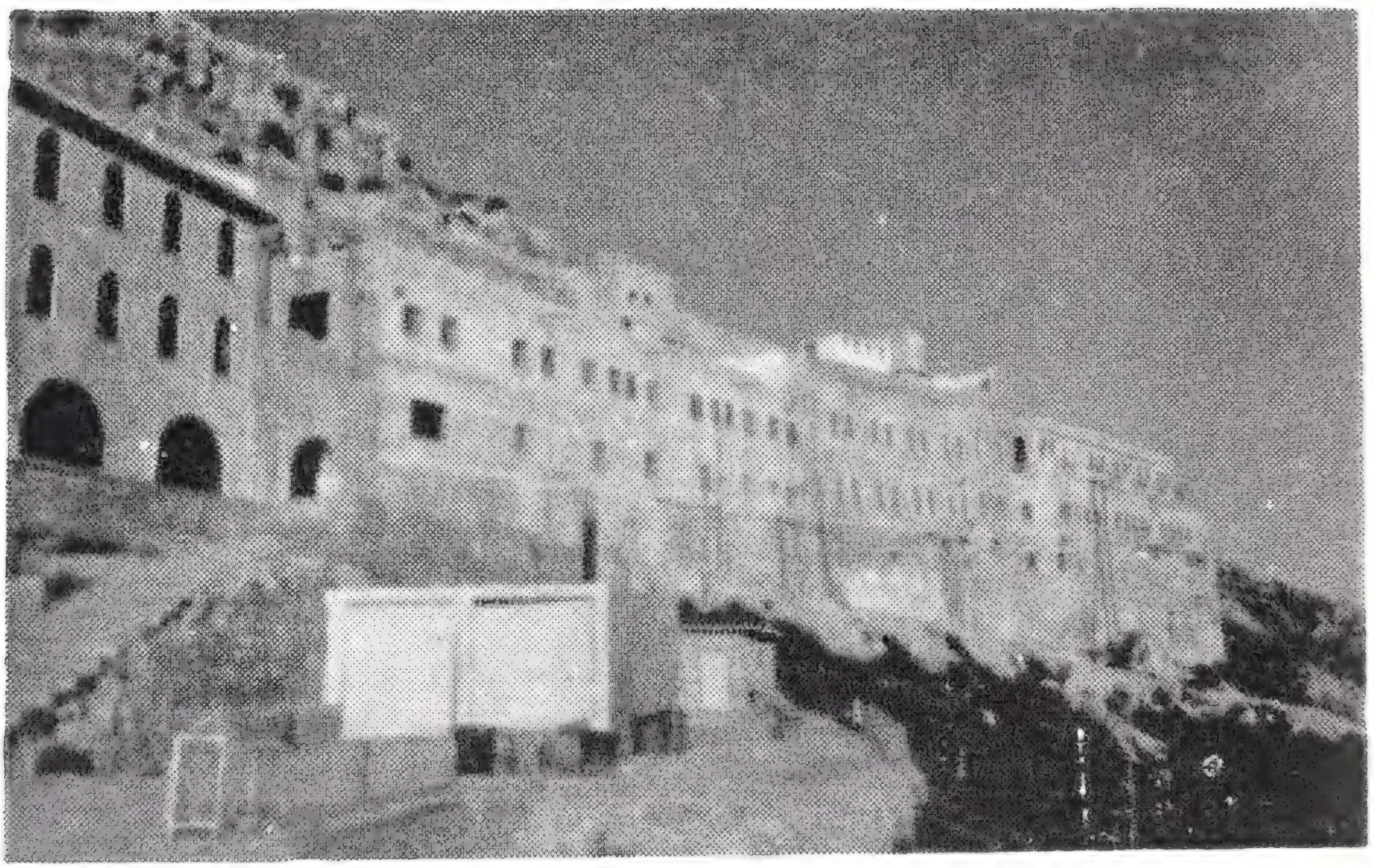

دير مار متى ـ منظر خارجى

الندوة كاملة بالفديو الشاب الشهم يحيى سعيد حنا شموني وقدم الشريط هدية الى لجنة التعليم الدينى ٠

وصباح الاحد ٢٧ تموز احتفل نيافة المطران صليبا بالقداس الالهى فى كاتدرائية مار توما ، وتلي المنشور البطريركى السامى الخاص بالذكرى وعلق عليه نيافته ، حاثا المؤمنين على حضور الندوة الخاصة ٠ وما ان ازفت الساعة السادسة عصر هذا اليوم حتى اكتظت الكنيسة بالحضور ، وقد زينت جدران باحتها بصور العلامة ابن العبرى ومختارات من مأثور اقواله وحكمه ٠ وكان فى مقدمة الحضور نيافة مار ديوسقوروس لوقا مطران دير مار متي ٠

رحب بالحضور الاستاذ لوقا متي بكلمة رقيقة ، ثم تناوب المريفون على تقديم البرنامج ، وهم الى جانب الاستاذ لوقا ، الشماسة جمال حاوا والشماسة نغم كامل عطو ٠ وانشدت الشماسة عالية سعيد ترتيلة بصحبة جوقة الترتيل ، ثم القى الافودياقون زهير جورج موجزا لسيرة حياة ابن العبرى تلته الشماسة عالية سعيد فالقت قصيدة بالسريانية مختارة من ديوان ابن العبرى مع ترجمتها العربية ، عقبها الافدياقون رافع جليل بني الطويل فسلط الاضواء على ابرز مؤلفات صاحب الذكرى ، تلا ذلك انشودة ادتها جوقة الترتيل بمصاحبة الارغن/عزف الانسة زينة نزهت عباصة ، ثم القى الاستاذ متي جدو محاضرة عن المحبة والمجتمع فى فكر ابن العبرى ، تلته الانسة مها خليل عبو الجلو فالقت قصيدة لابن العبرى عن القنديل والانسان نظمها باللغة العربية بعد ترجمتها الاستاذ الدكتور عبدالكريم اليافي ٠ ثم القى السيد صلاح عزيز بعض خواطره عن صاحب الذكرى باسلوب شعرى رقيق ولطيف ، تلاه الاستاذ سنحاريب ستراك فالقى قصيدة عربية تم تحدث السيد هلال يعقوب بابا اللوس عن ابن العبرى والكتاب المقدس ٠ وبذلك ختمت الندوة ٠

وفى ابرشية دير مار متي عقدت ندوة فى قاعة ابن العبرى فى الدير صباح يوم ١٠/١٠/٩٨٦ باشراف نيافة مطران الابرشية مار ديوسقورس لوقا ، وبحضور نيافة المطران صليبا شمعون الذى احتفل فى القداس لهذه المناسبة والقى خلاله كلمة تحدث فيها عن امجاد الدير ومعطياته للكنيسة السريانية واسهامات رجالاته فى بناء الحضارة البشرية ٠

افتتح الندوة نيافة مطران الابرشية مرحبا بالجمع الذى ضاقت به القاعة ، ثم شرع عريف الحفل بتقديم المتحدثين فكانت الكلمة الاولى للافورياقون عبدالمه اسحق عن حياة صاحب الذكرى ، ونظرا الى ظروف طارئة لم تمكنه من الحضور فقرأها نيابة عنه الافورياقون سالم مجيد ، تلاه الاب افرام الخورى بنيامين فتناول الحديث عن عثرات اللسان عند ابن العبرى ، عقبه الشماس غانم عبدالاحد الشماني ودارت كلمته حول الحب الالهى لدى ابن العبرى،وعن كتب ابن العبرى التاريخية تحدث الافورياقون ابراهيم الياس ، فى حين تحدث عريف الحفل الافورياقون بهنام دانيال عن فلسفة ابن العبرى الطبيعية • وتناول الاستاذ خليل ابراهيم حنا موضوع الصوم فى نظر ابن العبرى واختتمت الندوة بقصيدة للسيد مؤيد القس هادى •

هذا وقد اضفت جوقات الابرشية فى كل من بعشيقة وبحزانى وبرطلة مسحة من الروحانية على جو الاحتفال بما ادته من تراتيل روحية باللغتين السريانية والعربية خلال الكلمات كانت موضع استحسان الجمهور •

وفى ابرشية بغداد عُقدت ندوة بعد ظهر يوم ١٩٨٦/٧/٢٥ فى كاتدرائية مار بطرس وبولص التى غصت على رحبها بجماهير المؤمنين افتتحها نيافة مار سويريوس حاوا بكلمة مناسبة واشترك الجميع برفع صلاة خاصة • ثم قدم عريف الحفل السيد مكرم برصوم المتحدثين الذين تعاقبوا على القاء كلماتهم وكانت الكلمة الاولى للسيدة فكتوريا بخايا عن سيرة حياة صاحب الذكرى،ثم القى الشماس عبدالمسيح افرام كلمة جال فيها فى كنوز ابن العبرى ومؤلفاته • عقبه الاستاذ الدكتور متى ناصر مقادسى فتناول فى كلمته الجانب الفلسفى والاخلاقى والدينى لدى ابن العبرى • اما الاستاذ منير رزوقى فقدم المحتفى به كشاعر واديب وفى ختام الحفل اقامت الجمعية الخيرية حفلة عشاء بالمناسبة • هذا وقد تخللت الكلمات تراتيل روحية عذبة أدتها جوقات الكنائس فى بغداد كانت موضع ارتياح لدى الحضور •

وصباح يوم الاحد ١٩٨٦/٧/٢٧ احتفل نيافة مطران الابرشية بالقداس الالهى ، تلي خلاله المنشور البطريركى الخاص بالمناسبة وعلق عليه نيافته معطيا المؤمنين فكرة عن الذكرى الجليلة والغاية من احيائها •

ندوة

البرشية الموصل وتوابعها

٢٥ - ٢٧ تموز ١٩٨٦

كَلِمَةُ التَرحيبُ

أصحاب السيادة الاجلاء الاستاذ لوقا متي

ايها الحفـــل الكريم

نرحب بكم من الاعماق ، والمسرة ملء القلوب فى هذا اللقاء الاخوى وفي هذا الحفل الخاص ، ومن هذا المكان المقدس ، صـــرح الارثوذكسية الشامخ فى هذه البقعة المباركة من العالم ، الذى كان منارا انتشر نوره فى هذه البقاع فانارها بعطـــاءات رجالاته العظام العلمية ، والروحية بدءا من القديس مـــار متى الناســـك وصـــحبه الكرام ، ومرورا برائد الفكر والفلسفة السريانية مفريان المشرق العلامة ابن العبرى الذى نكرمه اليوم ونحن الى جوار رفاته الطاهر .

هذا الرجل الذى أصغى بكل جوارحه الى نداء المعرفة وهو فتى اذ نادته المعرفة منذ نعومة أظفاره ، فهام بها واســتعذب صوتها ، واعتبرها الركن الاساسى الاول الـــذى تبنى عليـــه ســـائر الامور الاخرى . « فهى كمال العقل ، وفيها سعادة الانســـان ، ولاتكون الحياة حقيقة الا بالكمال » . والمعرفة عنـــد ابن العبـــرى « نقية طاهرة ، وعلى الانسان الذى يصبو اليها ان ينقى نفسه،وان النفس البشرية تكون عزلاء بدون المعرفة » .

هذه عينة من افكار ابن العبرى السامية الذى نبغ فى القرن الثالث عشر وصار مثالا يحتذى لمن جاء بعده من العلماء والفلاسفة الذين ذهبوا مذهبه فى اعطائه مكانة رفيعة للعلم والمعرفة التى نبغ

فى سائر فنونها السائدة يومذاك • لقد كان بحق درة ثمينة رصعت فى تاج كنيستنا السريانية الارثوذكسية ، وشعاعا أنار الدرب أمام الملأ ، ومهد الطريق نحو الرفاه والسعادة التى يبحث عنها الانسان ، فلا يجدها الا فى المعرفة حيث وجدها ابن العبرى • انه مثل اعلى فى العمل والكفاح الجدى لنا نحن الذين اجتمعنا اليوم لتكريمه ، وفى شخصه ، نكرم العلم والعلماء والعبقرية والعباقرة، عملا بتوجيه الرسول بولس « اذكروا مدبريكم الذين يكلمونكم بكلمة الحق » •

اجل ، انه لمن الواجب علينا ان نكرم مدبرينا الذين علت هاماتهم باعمالهم المجيدة ومآتيهم الحميدة ، وبهم تألق مجد كنيستنا السريانية ، فكانوا نجوما ساطعة فى سمائها ، وزرياحين عطرة فى رياضها• مدبرينا ، الذين سمت نفوسهم نحو الذرى،اذ آمنوا بالكلمة ولم يبخلوا بأغلى التضحيات فى سبيل ايصالها الينا ، وظل عطاؤهم متدفقا على مدى عشرين قرناً ومايزال،وكلما تكاثفت سحب الظلام، بعث الله من يبددها • وهكذا كان تواصل العطاء مذ تبوأ الرسول بطرس عرش انطاكيا العظيم وحتى يومنا هذا الذى يتربع عليه قداسة سيدنا البطريرك المعظم ، ولاتزال الكنيسة ترتع فى مروج العز والعلم والمعرفة بهمة وغيرة وحكمة وتضحية رجال آلوا على انفسهم الا ان يعملوا من اجل ان تبقى الكنيسة عروسة المسيح فى أبهى حللها واجمل صورها • اننا اليوم نكرمهم فى شخص مثالهم ابن العبرى ، لانهم يعملون من اجل ان تبقى راية الكنيسة خفاقة كما يريدها المسيح وكما أرادها آباؤها الميامين وفى طليعتهم المفريان ابن العبرى • مرة اخرى نحييكم ونشكر مشاركتكم ايانا فى اقامة هذه الندوة تخليدا لذكرى علامتنا ابن العبرى والسلام •

لمحات من حياة العلامة ابن العبري

ـ الاقوذياقون زهير جورج توزا ـ

قلما يجود الزمان بانسان يدرك حق الادراك بان الله خلقه « ليَخدم لا ليُخدم » ، فيضع منهاج حياته على هذا الاساس ، فيعمل بكل ما اوتى من قوة ورجاحة عقل على تجسيد مبادئة فى حياته العملية من اجل خير البشرية • وابن العبرى كان احد هؤلاء الرجال القلائل • فقد اتاه الله حكمة وعقلا راجحا استثمرهما للخدمة والعطاء ، ليس لفئة او جهة او شريحة معينة ، انما للجميع على حد سواء •

واذا ما القينا نظرة سريعة الى البيئة البيتية التى نشأ فيها وعاشها علامتنا ، لادركنا من اى منبت كريم قد نشأ ، ولعلمنا ان تلك البيئة التى سادتها الروحانية ومحبة العلم ، قد أثرت فى حياته ، فنشأ ميالا للعلم تواقة نفسه للحياة الروحية • فاسرته طيبة الاعراق ، عريقة فى الايمان ، متمسكة بالمثل الروحية والقيم الاخلاقية • لها نزوع جارف نحو المعرفة • فوالده اهرون من مهرة الاطباء الذائعى الصيت ، وممن امتازوا بالخصال الحميدة من تقوى وورع ، وبهذه المزايا عرفت زوجته كذلك ، فلا غرو اذن ان ينشأ يوحنا واشقاؤه منشأ روحيا طيبا •

فى هذه البيئة المتضوعة بعبير التقى ونفح الفضيلة ، وفى بلدة ملطية ـ ارمينيا الصغرى ، ولد ونشأ يوحنا ابن العبرى عام ١٢٢٦م الذى لقب فيما بعد بابى الفرج · وكأنى به رضع حب العلم مع لبان امه ، فنزع اليه وهو مازال طفلا ، فنهم من العلم البيعى المتيسر الشىء الكثير ، فتعلم اللغة السريانية واتقن الطقوس البيعية والعلوم الدينية الاخرى ، وقد اشار الى هذا فى سيرة حياته التى كتبها بقلمه بقوله « شغفت بمحبة العلم منذ نعومة اظفارى ، فحذقت الكتب المقدسة وتفاسيرها الضرورية ، واخذت اسرار كتب الملافنة القديسين عن مهرة المعلمين »(١) ·

ان مايلفت النظر فى حياة هذا الانسان الكبير ، هو الظروف القاسية التى احاطت به منذ ميعة صباه ولازمته حتى وفاته ، ولكن بالرغم من ذلك استطاع ان يقهرها ، اذ لم يعرها اهتماما ولم يدع ان تشغله عن اهتماماته العلمية والادارية ، بل حصر كل فكره وهمه فى تأدية رسالته الانسانية على اكمل وجه ، عاقدا النية على ألا يفسح المجال للشؤون الدنيوية ان تطغى على مشاريعه العلمية والكنسية · ولعل عزمه هذا على تذليل الصعوبات هو سر نجاحه الفائق فى كلا الميدانين العلمى والكنسى ·

ومن الظروف العاتية التى شهدها فى صباه ، تلك الخطوب التى توالت على بلدته ملطيه ولاسيما سنة ١٢٤٣ حيث حاصرها المغول وشددوا الخناق عليها ، فصعبت الحياة فيها ، وقد تمكن والده بفضل طبه ، ان يرحل عنها ، حيث شفى احد زعماء المغول فمكنه من مغادرتها ، فقصد باسرته انطاكية ، وكان يوحنا مازال يافعا · فما ان حطت اسرته الرحال هناك ، حتى اخذ يفتش عن موارد العلم ليرتادها ويشبع منها نهمه ، واذا به يعثر على منسك فى احد الاديرة المجاورة لانطاكية ، فقصده ارضاء لطموحات نفسه التواقة الى المعرفة ، فترهب هناك وكان ذلك عام ١٢٤٤ · بيد ان مكوثه فى هذا المنسك لم يطل اكثر من عام واحد ، اذ غادره الى مدينة طرابلس الشام ، حيث تعرف على صديق يدعى صليبا ، كان هو الاخر طالب علم ، وهناك اكمل علومه الطبية ، ودرس المنطق على استاذ متخصص ·

---

(١) مجلة لسان المشرق · السنة الثالثة ص١٢

ابن العبرى والشؤون الرعائية :

ان النهج العلمى الذى اقره لنفسه ، لم يفسح له المجال ليفكر فى شؤون خاصة ، حتى ولا فى المناصب الكنسية العليا • ولكن لما كانت الطاعة احدى مزاياه المتميزة ، نراه يستجيب،من باب الطاعة، الى رغبة البطريرك اغناطيوس داود الذى عرض بل فرض عليه ان يرسم اسقفا لبلدة جوباس ، ولم يتجاوز عمره انذاك العشرين حولا ــ يقول فى هذا الصدد « لما بلغت العشرين من عمرى،اضطرنى بطريرك عصرنا الى قبول رئاسة الكهنوت •• »(٢) فهو والحالة هذه اصغر اسقف سناً عرفه تاريخ الكنيسة السريانية الارثوذكسية • وتمت رسامته يوم عيد الصليب ١٤ ايلول ١٢٤٦ • فشرع يرعى ابرشيته بما عهد فيه من غيرة ونشاط ، ولكن لم تمض سوى سنة واحدة حتى نقل الى ابرشية لاقبين القريبة من جوباس ، فرعاها هى الاخرى بهمة شماء مدة خمس سنوات • وعلى اثر شغور ابرشية حلب بارتقاء مطرانها صليبا رفيق صباه ، الى رتبة المفريانية ، نقل اليها الاسقف يوحنا ، فافرغ كنانة جهده فى خدمة مصالحها ورعايتها ، مقدما لها افضل مايمكن ان يقدمه الراعى الصالح لرعيته • وفى الوقت نفسه انتهز فرصة وجوده فى حلب ، فدرس اللغة العربية واتقنها ، وتعمق فى اصول الفلسفة •

وفى عام ١٢٥٨ غزا هولاكو مدينة حلب ، واوقع فيها مجزرة رهيبة ، فسار اليه الاسقف الشاب يوحنا ، يستعطفه من اجل سلامة الناس العزل ، بيد ان شفاعته لم تجد نفعا ، لان جند هولاكو سبقوا واوقعوا السيف فى الناس وافسدوا كل شىء • بيد ان هولاكو اذ لمس فيه الحنكة والذكاء والعلم الغزير ، وبخاصة الطب ، اكرمه جدا وانزله من نفسه منزلة لائقة •

ابن العبرى مفريانا :

بعد شغور كرسى مفريانية المشرق بوفاة المفريان صليبا سنة ١٢٥٨ ، لمدة ست سنوات ، رشح علامتنا لهذا المنصب الرفيع الجليل، نظرا الى مكانته العلمية وحنكته الادارية ، وشخصيته المرموقة • وترأس حفلة رسامته البطريرك اغناطيوس يشوع سنة ١٢٦٤

---

(٢) مجلة لسان المشرق • السنة الثالثة ص١٢

بمعاونة رهط من الاساقفة ، وذلك فى كنيسة العذراء بمدينة سيس ـ قيليقيا ، وبلغت الحفلة غاية الروعة،حضرها جميع الزعماء الروحيين والمدنيين ٠

وقد باشر مهامه الجديدة بزيارة هولاكو والحصول على براءة ملكية ، وهى اليوم بمثابة مرسوم جمهورى ، فاكرمه كثيرا ، ومنحه ما اراد اضافة الى كتاب «توصية» الى جميع المسؤولين ليكون المفريان موضع احترامهم وتقديرهم ٠

ولما كان كرسى مفريانية المشرق قد انتقل الى منطقة نينوى ، لذا شخص المفريان الى الموصل ومنها الى دير مار متى حيث اجريت مراسيم تنصيبه بحسب التقليد المتبع ، بكل مجالى الاجلال والابهة، ودون ان يطالب بما كان يُطالب به بقية المفارنة من بعض الهدايا للدير ٠

لقد اولى اهتماما كبيرا ببيوت الله ، فانشأ كنائس حيثما دعت الحاجة ، وعمل على تجديد وترميم غيرها ، ولم يكن ليرسم اسقفا الا من توسم فيه الخدمة والاخلاص ، وممن يحملون المؤهلات والصفات اللائقة برؤساء الكهنة والمعروفين بحسن السيرة ورسوخ الايمان وثبات العقيدة ٠ وقد رسم اثنى عشر اسقفا ورهطا من الكهنة والشمامسة خلال العشرين سنة التى امضاها قابضا زمام مفريانية المشرق ٠

وفاته :

لم يعمر العلامة ابن العبرى اكثر من ستين عاما حيث حلت وفاته سنة ١٢٨٦ ، وقد لاحظ فى تلك السنة علامات الضعف وشعر بأمائر المنية تسرى فى جسمه ، فأنبأ اخاه برصوم الصفى بحلول وفاته فى تلك السنة ، وقد اعتقد شقيقه انه ربما سيكون ضحية حادث ما ، لان الاضطرابات كانت متفشية فى المنطقة انذاك ٠ فأخذه الى مدينة مراغة لكى يكون فى منجاة من اى حادث سىء يودى بحياته ، ولم يدر فى خلده ان المنية كانت تترقبه فى مراغه نفسها٠ ولدى بلوغه اياها ، شعر بحمى ثم اخذت تشتد عليه اكثر فاكثر حتى فارق الحياة على اثرها ، وشيع ودفن فى منتهى الوقار والمهابة، وبعد فترة نقل رفاته الى دير مار متي ٠

اهتماماته العلمية :

من الاستعراض السريع الذى قدمناه لحياته ، يبدو لنا شغفه وهيامه البالغ فى العلم والمعرفة على مختلف جوانبهـا ، فقد احاط بمعظم علوم عصره من فلسفة ولاهوت وطب وادب وسواها ، وتعمق فى العديد منها ، وصنف ما لايقل عن ٣٦ كتابا هى ذخـيرة نفيسة وكنز لايضاهى • ولا أريد ان اسهب فى هذه الناحية لان زميلا اخر سيقدم لنا شرحا وافيا عن مصنفاته • وبهـذا اختم هـذا العرض الموجز لحياة هذا الرجل الكبير ، العلامة ابن العبرى •

ابن العبري والتشريع

ـ المطران صليبا شمعون ـ

غير خاف ان معظم القوانين والتشريعات باستثناء السماوية منها ، استمدت من حياة الانسان الاجتماعية ، ولعبت فى خلقها البيئة دورا فاعلا • وان الغاية منها هى تقويم الانسان واشاعة العدالة الاجتماعية بين صفوف الناس على مختلف شرائحهم ومشاربهم وانتماءاتهم الدينية او القومية وما الى ذلك • والى جانب القوانين والتشريعات العامة هناك تشريعات خاصة بهذه الشريحة أو الطائفة او بتلك ، لاتتعدى الاطر الاساسية لانتمائها الدينى مثلا ، تدور حول معتقداتها وشعائرها الدينية •

ومن هنا لابد ان يبرز فى كل فئة او طائفة ، فقهاء ومشرعون يضعون تشريعاتها الخاصة وقواعد شعائرها وطقوسها بما يتماشى ومعتقداتها وانتمائها الدينى او المذهبى • والكنيسة السريانية ككنيسة لها جذورها الرسولية • وكيانها القائم بذاته ، ومكانتها الحضارية وتاريخها الحافل بالمعطيات والمآثر الخالدة ، كان لابد ان تنجب مشرعين ثقات ومفكرين رواد ، استطاعوا الغوص الى اعماق الكتاب العزيز ، دستورها الاول،واستخلاص مادة دسمة للتشريعات التى سنوها لها ، سواء من الناحية العقائدية ام الطقسية • وفى مقدمة هؤلاء المشرعين السريان علامتنا الفذ ابن العبرى ، الذى وضع مجلدا فى التشريع الكنسى والمدنى • وهو الموسوم بـ

«الهدايات» طواه على اربعين بابا ، يعكس فكر الكنيسة السريانية الارثوذكسية • وقد اعتبر حجة ومرجعا اساسيا فى التشريع والفقه الكنسى السريانى ، وصارت له صبغة رسمية قانونية •

ابن العبرى يتميز فى مضمار التشريع

لقد سبق ابن العبرى مشرعون كنسيون ، لهم وزنهم العلمى والثقافى ومكانتهم المتميزة فى الفقه الكنسى ، وان تشريعاتهم توحى بعمق معرفتهم وتبحرهم فى كتاب الله العزيز من جهة ، وادراكهم مايلائم المؤمنين ويؤمن استمرارية التنظيم فى الكنيسة ، ويضفى قدسية على طقوسها وشعائرها الدينية ، من جهة اخرى • امثال يعقوب الرهاوى ورابولا الرهاوى ، والبطريرك قرياقس ، ويوحنا التلى ، ومار سويريوس الانطاكى وسواهم ، بيد ان هؤلاء اقتصروا فى ماشرعوه على الشؤون الكنسية والطقسية وقوانين الاديرة والرهبان • فى حين ان ابن العبرى تميز عنهم جميعا ، اذ تناول فى تشريعاته الى جانب الحياة الروحية والكنسية ، الحياة الاجتماعية من مختلف وجوهها ، متطرقا الى كل مايمس حياة الفرد والجماعة على حد سواء ، ومثبتا لها ضوابط وقوانين،وهى مايعرف بالتشريع المدنى ، فاجاد فيها وابدع •

اسلوبه فى التشريع :

يلاحظ المتتبع لكتاب الهدايات ، ان المؤلف يحذو فى اسلوبه حذو من سبقه من الفقهاء وعلماء تفسير الكتاب المقدس • فهو يثبت اولا نصوص القوانين السابقة او موجزها ،ثم يعقب عليها ، واخيرا يدلى برأيه ويضع مادة جديدة اذا احتاج الامر • فعندما يتحدث عن النظم والطقوس الكنسية يورد اولا ماجاء بخصوصها فى قوانين الرسل • ثم ماوضعته المجامع المسكونية والاقليمية ، فما وضعه البطاركة والاساقفة ، وفى اخر الكل يضع تشريعا جديدا اذا اقتضت الحاجة ، أو يشرح تلك القوانين ان وجد فيها بعض الغموض يحتاج الى ايضاح •

ويتوخى ابن العبرى الدقة والتفصيل فى تشريعاته ، وبخاصة المدنية منها ، بقصد تحاشى كل تعليل غير قانونى او اجتهاد يضعف

قوة المادة القانونية · فعندما يتحدث عن موضوع ما ، لايدع شاردة او واردة الا ويتطرق اليها بشكل دقيق وواضح لالبس فيه ، مثال ذلك ماجاء عن الرهينة حيث يقول « اذا قال الراهن انى رهنت هذا الكيس بما فيه » ولم يذكر الشيء الذى فيه ، يعتبر الكيس وحده هو الرهينة دون مافيه ، اما اذا ذكر ما فى الكيس فعند ذاك يعتبر الكيس ومافيه رهينة · وقس على ذلك ·

شرعية القوانين لدى ابن العبرى :

لما كان هدف القوانين هو المصلحة العامة ، من اشاعة العدل ورفع المظالم واعطاء كل ذى حق حقه ، كان لابد ان تكون شرعية ومقبولة ونافذة المفعول · ولكى تكون كذلك استوجب ان تتوفر فيها بعض الشروط ، ومنها :

١ ـ ان تصدر عن سلطة شرعية سواء كانت فردية ام جماعية ·
٢ ـ ان تكون ممكنة التنفيذ ·
٣ ـ ان يراعى فيها العدل والخير العام ·
٤ ـ ان تعلن على الملأ لتكون معروفة لدى الجميع ·

ولكى تطبق القوانين الكنسية بصورة صحيحة ، وتنفذ بدقة وعدالة ، كان من الضرورة بمكان ان يلم بها الاكليريكى الماما تاما · وقد شبه بعضهم علم الفقه الكنسى بالنسبة الى الاكليريكى ، كعلم الطب بالنسبة الى الطبيب ·

اما السلطة التشريعية فى الكنيسة ، فهى المجامع اولا ، ثم الرؤساء الروحيون الاعلون المخولون سلطانا من الرب « كل ماتربطونه على الارض يكون مربوطا فى السماء وكل ماتحلونه على الارض يكون محلولا فى السماء »(١) ثم الاسقف فى مايخص شؤون ابرشيته ان لم يكن هناك مجمع اسقفى ·

التشريعات الكنسية والاحوال الشخصية :

لقد دون ابن العبرى وشرع لكل مايحيط بالكنيسة من شؤون ، وماتمارسه من طقوس وشعائر · وهو يضفى قدسية خاصة على

---

(١) متي ١٦ : ١٩

القضايا الكنسية والروحية ولاسيما اسرار الكنيسة التى اولاها اهتماما استثنائيا، شارحاً كيفية ممارستها ومن له حق هذه الممارسة. فلانها مقدسات لايجوز ممارستها الا من قبل كهنة شرعيين ، وهؤلاء بدورهم ملزمون بالتقيد بالطقوس والقوانين وتنفيذها بحذافيرها. ولايسمح للكاهن ان يمارس ماهو من اختصاص الاسقف او البطريرك كتقديس الميرون مثلا . ويشدد المشرع على اهمية سر القربان المقدس ، ووجوب الاستعداد التام للتناول . وهو حريص جدا على المقدسات الى درجة انه يرفض أية كتابة غير مسيحية تنقش على الانية المقدسة ولاسيما تلك المستعملة على المذبح .

كما أولى عناية فائقة بقانون الاحوال الشخصية أى التشريعات الخاصة بالخطبة والزواج ومايترتب على ذلك من احكام . حيث افرد لها بابا خاصا مطولا فى كتابه ، غدا المصدر الاساس والينبوع الذى منه تستقى جميع التشريعات الفقهية فى الكنيسة السريانية بهذا الخصوص . اذ تناولها باسهاب تام ومن كل الجوانب . فهو يحدد قبل كل شيء موانع الخطبة والزواج ، ويذكر اوجه التفسيح فيهما، ثم يتطرق الى الاسباب الموجبة لفسخهما والاحكام المترتبة على هذا الفسخ . كما يشير الى اىّ من الوالدين له حق الحضانة فى حالة فسخ زواجهما . ومن اهم شروط الزواج عنده هو الرضى التام للطرفين ، واهم متطلباته ، الخلق الكريم . ويحدد العربون (المهر) مفضلا قلته ، ولاينسى مراسيم حفلة الزفاف فيقول بشأنها « يجب مراعاة الاداب فيها وتجنب كل ماتنهى عنه الشريعة المسيحية كالسكر والمجون » كما لايهمل تذكير الزوجين بالواجبات المترتبة على كل منهما تجاه الاخر .

ابن العبرى والتشريع المدنى :

قلنا ان ابن العبرى يكاد يكون الشخص الوحيد فى الكنيسة السريانية الذى أولى اهتماما خاصا بالتشريع المدنى الى جانب الفقه الكنسى. وقد تناول فى تشريعاته هذه ، كل مايحيط بالانسان على الصعيدين الفردى والجماعى . وحيث ان المجال لايسمح هنا بالتطرق الى جميع المواضيع التى وردت فى كتاب الهدايات ، حتى ولا بالحديث عن بعضها باسهاب لذلك اقتصرنا على هذا البعض وبما امكن من ايجاز، ومن ذلك :

الارث والوصـــية :

يعتمد فى تقسيم الميراث على ماجاء فى شـــريعة العهد القديم ، ذلك أن العهد الجديد لم يتناول التفصيلات فى مثل هذه القضايا كما هى الحالة بالنسبة الى اسفار التوراة ، حتى ان السيد المسيح عندما طلب اليه شخص ان يسأل أخاه ليقاســـمه الميراث ، قال : « من أقامني عليكما قاضـــيا او مقسما »(٢) • ومن تشـــريعاته بهـــذا الخصوص ان لايحق للقاتل المتعمـــد ان يرث القتيـــل ، كما لايرث الابن غـــير الشرعى • اما الوصية ، وهى مايرغب المرء فى توزيعه من امـــواله على من يشاء بعد وفاته • فانها امر مشروع • ومن تشريعاته فيها « لايحق لاحد أن يوصى للكنيسة مالا جاءه بطرق غير شرعية، أو من اعمال دنيئة غير لائقة • ولكن يمكنه ان يوصى بمثل هذه الاموال لانشاء فندق او مستشفى » •

القـــرض :

وهو عمل طوعى فلا يحدد بشروط او زمان معين • وشـــرطه الوحيد ان يكون دون فائدة لئلا يصبح من اعمال الـــربا الكريه • وقد اعتمد فى شرعية القرض الآية القائلة « لاتقبض يدك عن اخيك الفقير ، بل افتح يدك له واقرضه مقدار مايحتاج »(٣) •

الكفالة والوكالة :

لكى تكون الكفالة مقبـــولة ونافذة ، يجـــب أن يلفظ الكفيل نصها بكلمات واضحة ولاتقبل اية كفالة فيها لبـــس او غـــموض • كأن يقول « أنا احضر المكفول » او (انى أفي كل ماعليه) • امـــا الوكالة فلكى تكون قانونية يجب ان تتوفر فيها اربـــعة اركان هى : الشىء الموكل عليه ، والموكل والوكيل ونص الوكالة • ومن الاهمية بمكان تفصيل نص الوكالة • وليس للوكيل حرية التصرف المطلق بما اوكل عليه ، بل انه ملزم بالتقيد بمفردات الوكالة نصا وروحا• فلا يجوز له مثلا ان يشترى قطعتين صغيرتين من الارض بمال خصص

---

(٢) لوقـــا : ١٤
(٣) تثنيـــة ١٥ : ٧

لشراء قطعة كبيرة واحدة · كما ليس بوسعه ان يبيع باكثر او باقل من السعر المدون فى الوكالة · وهنا يضع المشرع حلولا لاحتمال حصول خلاف مابين الموكل والوكيل،فيقول : اذا حدث كذا، يعمل كذا والخ · هذا ولاينسى ابن العبرى ان يشير الى ان هناك امورا لايجوز التوكيل فيها كالصوم والصلاة مثلا ·

الاعارة والايجار :

يقول فى الاعارة : لايجوز استعمال الشىء المعار الا للغرض الذى استعير لاجله · فالارض المعارة لزراعة القمح مثلا لاتزرع عدسا او خضراوات أو بستانا · ولايجوز اعارة الشىء المعار للاخرين · اما اذا فقد الشىء المعار ، فيدفع ثمنه بقيمته الراهنة وليس بقيمته لدى اعارته · وفى الايجار يرى وجوب تحديد الغاية منه بالتفصيل دفعا لكل التباس واحتمال حدوث خلاف فاذا استؤجرت ارض لتزرع يجب ان يذكر ماتزرع به ، وهل يجوز ان تشيد عليها دار ام لا ؟ وفى حالة تشييد دار يجب ان تدون كافة مواصفات تلك الدار · واذا استأجر شخص دارا وهدمت ، فليس ملزما بدفع التعويضات عنها لصاحبها مالم يكن هو السبب فى هدمها ·

الهبه والوقف :

الهبة هى تمليك شىء بدون مقابل ، وهى فضيلة محببة ، لكنها لاتتحقق قانونيا ما لم يتلفظ الواهب بكلمة (وهبت) ويقول المستفيد (قبلت الهبة) · ولايزال هذا الاسلوب متبعا فى الدوائر المختصة حتى اليوم · ويفضل ابن العبرى ان تقدم الهبة لمن لايستطيع ان يفى ، انطلاقا من قول السيد المسيح (اذا صنعت ضيافة فادع المساكين ، فيكون لك الطوبى ، اذ ليس لهم حتى يكافئوك)(٤) والوقف هو منح شىء ذات منفعة لجهة فيها مصلحة عامة وخيرية ، ومثله مثل الصدقة لايمكن استعادته اطلاقا · فالشىء الموقوف يصبح ملكا لجهة الموقف لها · ولكن يحق للواقف ان يسمى شخصا متوليا على ذلك الوقف ·

---

(٤) لوقا ١٤ : ١٣

اللقيـة :

وهى مايلتقط فى الشارع او اى مكان اخر ، وتكون بمثـابة وديعة لدى لاقطها اذ عليه ان يحتفظ بما يلتقط مـالا كان او اى شيء اخر لمدة سنة فى حالة عدم السـؤال عنه • ويـحق له بعـدها التصرف به ، ولكن يظل ملكا لصاحبه يعاد اليه حالمـا يسأل عنه • وعلى اللاقط ان يعلن عن اللقية ذاكرا بعض مواصـفاتها لاكلها • اما بالنسبة الى الاطفال ، فيقول ابن العبـرى : لايحق لشـخص ان يربى لقيطا الا اذا كان مشهودا له بالصـلاح ، وعليه ان يعيده الى والديه أذا ظهرا • واذا لم يعـرف دين اللقيط يجـب ان يخير عند بلوغه الى اى دين يرغب ان ينتمى • اما اذا وجد فى الكنيسة فهو مسيحى •

الخطف والاغتصـاب :

وهو عمل اجرامى وفعل شـنيع وكسـر لوصـية الله القائلة « لاتشته امرأة قريبك ولاعبده ولا امته ولاثوره ولاحماره ولاشيئا مما لقريبك »(٥) لذا اسـتوجب على المغتصـب ان يعيد ما اغتصـب او يؤدى ثمنه اذا ما اتلفه • لان التعويض يفرض على كل من يلحق ضررا بالغير بصورة مباشرة او غير مباشـرة ، ويكون التعويض من نفس الشيء المغتصب ، واذا تعـذر ذلك فبالمال • اما أذا اغتصب احدهم غرضا ما واتلف جزءا منه ، فيعيده الى صاحبه مع قيمة الجزء التالف • واذا اغتصب ارضا وشيد عليها مبنى او غرسها بالاشجار فلصاحب الارض ان يلزمه بهدم ذلك المبنى ، وقلع تلك الاشجار •

الجريمة والعقاب :

بالرغم من أن ابن العبرى يورد اولا مبدأ التسامح فى المسيحية منطلقا من قول السيد المسيح « من ضربك على خدك الايمن فحول له الاخر »(٦) ، الا انه يرى فى الـوقت نفسـه ، ان التسامح شـيء والعدالة شيء اخر • وان الله الذى يأمر بالتسامح ، يأمر بالعدالة

---

(٥) خـروج ٢٠ : ١٧

(٦) متي ٥ : ٣٩

ايضا · لذلك يقول : ان قوام العالم لايستقيم ان لم يوضع له نظام يعاقب المجرمين ويضع حدا لافعالهم المشينة واعتداءاتهم الظالمة » · ومن هذا المنطلق يصح اتخاذ امر الله الصادر الى موسى النبى ، قاعدة اساسية لمقاضاة الجانى وادانته وانزال العقاب فيه ، وهو « اذا بغى انسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحى تأخذه للموت »(٧) ويأتى القتل فى طليعة الجرائم الكبرى ، وهو على اربعة اوجه : المتعمد ، وشبه المتعمد ، وبالوهم ، وبصورة غير مباشرة ·

وحكم القاتل المتعمد هو القتل اى الاعدام وفقا للقوانين المدنية ويجوز الا يعدم اذا عفا عنه اهل القتيل وتاب توبة نصوح · وفى المسيحية يسمح له بدخول الكنيسة بعد عشرين عاما من التوبة ، فيصلى مدة خمس سنوات مع كبار التائبين ، واربع مع المؤمنين ، دون ان يسمح له بتناول القربان المقدس الا بعد هذه المدة (اخذا عن مار باسيليوس الكبير) · اما بالنسبة الى القتل شبه المتعمد ، ومثله ان يضرب انسان بآلة غير قاتلة فيموت · فان القاتل لايدان بالاعدام، بل يدفع دية مقدارها الف دينار ذهبا ، مع توبة لمدة عشر سنوات ، يسمح له بعد ذلك بالتناول · اما القتل بالوهم ، ومثاله : اذا اطلق شخص سهما على انسان متوهما انه صيد فارداه قتيلا ، أو اذا صرب احدهم كلبا بحجر فاصاب انسانا اصابة مميتة : فان عقابه هو نصف عقاب القاتل المتعمد فى مايخص التوبة · اما القتل غير المباشر ، ومثاله ان يحفر انسان بئرا فيسقط فيه احد فيموت · فعقابه اداء الدية ·

هذا ، وان النفس البشرية ، عند ابن العبرى ، لابل فى المسيحية ، هى واحدة ، لافرق بين ازهاق نفس عبد أو نفس سيد · فيحكم بالاعدام : السيد اذا قتل عبدا ، والمؤمن اذا قتل غير مؤمن · والرجل اذا قتل امرأة ، والراشد اذا قتل طفلا رضيعا ·

السرقة :

من الملاحظ ان مشرعنا ابن العبرى لايعير كبير اهتمام بالسرقات البسيطة كالاشياء التى لاتتجاوز قيمتها الدريهمات · ولكن فى الوقت نفسه يوجه نوعا من التقريع والتوبيخ لمن يقترف مثل هذه

---

(٧) خروج : ٢١ : ١٤

السرقات ، لئلا يفسح امامهم المجال فيتمادوا بسرقتهم على اعتبار ان عدم العقاب هو تشجيع للجريمة · اما السرقة بمفهومها المألوف، فيعتمد فى عقوباتها احكام شريعة العهد القديم ·

القسم :

يختلف موضوع القسم فى عهد الانجيل عما كان عليه فى عهد التوراة ، ففى شريعة موسى ، كان القسم مباحا شريطة ان لايكون باطلا « لاتحلف باسم الرب الهك باطلا »(٨)· اما فى العهد الجديد، فالافضل الا يحلف الانسان البتة »(٩) ·

بيد ان ابن العبرى ، اسوة بغيره من المشرعين المسيحيين ، يجيز القسم فى حالات محدودة · من ذلك استجابة لطلب القضاة · او فصلا فى خصومة ما · معتمدا بذلك على قول الرسول بولس « نهاية كل مشاجرة عندهم لاجل التثبيت هى القسم »(١٠) والقسم المباح يكون : اما بالاماكن المقدسة ككنيسة او دير ، او بالاوقات المقدسة كالصوم والاعياد الشهيرة · او بصفة من صفات الله · غير ان الافضل ان يتم القسم بالانجيل بالنسبة الى المسيحيين وبالتوراة بالنسبة الى اليهود ، وبالقرآن بالنسبة الى المسلمين ·

اما اذا اقسم احد كذبا او دون مبرر ، فيترتب عليه احد الامور التالية :ـ

١ ـ تحرير عبد مؤمن اذا كان ذلك بمقدوره ·
٢ ـ اكساء عشرة فقراء ، ولو بقميص لكل منهم ·
٣ ـ اطعام عشرة جياع ·

واذا كان غير قادر على تنفيذ اى من هذه الامور ، فليصم ثلاثة ايام متتالية من الصباح حتى المساء ·

---

(٨) خروج ٢٠ : ٧ (٩) متى ٥ : ٣٣ (١٠) عبرانيين ٦ : (١١) ١ كورنثوس ٦ : ١

المحكمة :

حيث ان هنالك خصومات وخلافات ، وجريمة وعقاباً ، كان لابد من قضاء وقضاة • وابن العبرى ، كمسيحى ، يفضل ان يتم الفصل فى جميع المشاكل والخصومات بين المؤمنين امام الاسقف ، باعتباره القاضى الاول فى سائر القضايا ، عملا بقول الرسول : « أيتجاسر منكم احد له دعوى على اخر ان يحاكم عند الظالمين وليس عند القديسين » (١١) واذا لم يتم الوفاق بين الطرفين المتخاصمين ، تحال القضية الى المحاكم المدنية •

وتتألف المحكمة من القاضى (او الاسقف) والمستشارين ، وهناك المدعي والمدعى عليه ، والشهود وشهود آخرون لتزكية الشهود • وعلى القاضى مراعاة الامور التالية :

ـ لايصدر قرارا فى اية قضية وهو فى حالة غضب او كآبة او ضيق ، ـ لايصدر قرارا الا بحضور المستشارين ولئن كان اكثر منهم خبرة ، ـ لايصدر قرارا دون شهود ، لئلا يتهم بالمحاباة والانحياز ، ـ يحرص على العدالة والمساواة حتى فى الشكليات ، فلا يصغى مثلا الى طرف اكثر من طرف اخر • ولايسمح لطرف بالجلوس دون الاخر ، ـ لايقبل اية هبة من اى من الطرفين المتخاصمين ، ـ لايسمح لاى من الطرفين بالدخول اليه قبل الاخر ، بل يدخل الطرفان سوية • ـ لايصدر قرارا استنادا الى معرفته الشخصية ، بل وفقا للقوانين المرعية •

الشهادة والشهود :

للشهادة موقع هام ومساس مباشر فى مسيرة المحكمة وتحقيق العدالة • لذا اولاها ابن العبرى اهتماما متميزا وحصرها باناس مشهود لهم بالنزاهة والاستقامة • وعلى المحكمة ان تتأكد من نزاهة الشاهد ، فاذا طعن فى نزاهته لاتقبل شهادته • ولكى تقبل الشهادة يجب مراعاة مايلى :

ان يكون الشاهد عاقلا راشدا مشهودا له بالايمان والتقوى ، وغير محكوم عليه بجناية ما ـ ان لايكون من المدمنين على السكر او من الذين يتعاملون بالربا ، ولا من الشعراء الذين يمدحون ويهجون فى

آن واحد · ـ لاتقبل شهادة من ينتفع بالعقوبة التى تصدر بحق المتهم ، كأن يرثه اذا حكم بالاعدام · ـ لاتقبل شهادة عدو على عدوه، ولاشهادة الساذج الابله · ـ لاتكتفى المحكمة بشهادة شاهد واحد، بل اثنين او اكثر تمشيا مع قول السيد المسيح « على فم شاهدين او اكثر تقوم كل كلمة » ـ الشهادة النزيهة والمعتمدة يجب الا تستند الى الاستنتاجات ، فقد تكون غير صائبة ، بل الى الرؤية والمعرفة الحقيقية · وقد سأل احدهم حكيما : كيف اشهد ؟ فاجاب : اترى الشمس مشرقة ؟ قال نعم فقال : بمثل هذا اشهد والا فاسكت·

هذا ولم ينس ابن العبرى ان يفرض عقوبات على الشاهد الذى يدلى بشهادة كاذبة وقد تصل العقوبة احيانا الى الاعدام · وذلك عندما يدلى بشهادة غير حقيقية تفضى الى اعدام شخص برىء ، يصرح بها بعد تنفيذ حكم الاعدام ، فيحكم عليه بالاعدام هو الاخر ·

هذا غيض من فيض قوانين وتشريعات الفقيه العلامة ابن العبرى ، رائد الفكر السريانى الموهوب الذى قلما يجود الزمان بامثاله ·

قلايــة ابن العبــرى فى جبــل مار متــى

قلاية فى غاية الروعة والجمال تطل عــلى الدير ووواديه مــن الجهة الشمالية الشرقية · نحتها الراهب منصور عام ١١٩٥ ونسبت الى ابن العبرى لتردده اليها للمطالعة والكتابة · نحتت فيها مائدة التقديس وأريكة الى يسار الداخل اليها ·

ابن العبري وفلسفة الأخلاق

الدكتور : وسام ابراهيم الشماني
كلية العلـوم ـ جامعة الموصـل

الاخلاق هى الركيزة الاساسية لتقييم الانسـان ، التى تستند اليها حياته الروحية والعملية ولما كان الانسان ذا قيمة عظمى فى نظر ابن العبرى ، لذا اولاه اهتماما استثنائيا ، مركزا على ضرورة تهذيبه اخلاقيا وثقافيا وروحيا ، لكى يصبح انسان الله الكامل ، فيكتسب عقلية روحية تقربه الى الله باريه ، وتنقى افكاره لتقبل الحقيقة او لاكتشافها لدى البحـث عنها • فلا غـرو اذن ان يتخـذ القيم الروحية والممارسات الدينية العملية من صوم وصلاة وتهجد وترتيل وسواها ، سبيلا لبلوغ المأرب ، الى جانب الترفع عن الصغائر وعما يغذى شراسة الجسد وينمى غـرائزه المتطرفة • ولـكن هـذا لايعنى أن يغمط الجسد حقـوقه الطبيعيـة التى من شـأنها توفـير استمرارية الوجود له،ولكى يكون هيكلا جميلا ولائقا لسكنى النفس البشرية الخـالدة •

ان المتتبع لمصنفات ابن العبرى الخلقية والاجتماعية ، يلاحظ وبكل وضوح • اهتمامه البالغ بسـعادة الانسـان ، فهو يمهـد له الطريق اليها منيرا الدرب امامـه بما يقـدمه لـه من اراء سـديدة وتوجيهات قيمة ، ولجميع مراحل حياته ، فهو يعنى بالطـفولة كما يعنى بالشيخوخة •

غير ان الكتاب الاكثر تركيزا على هذه الناحية ، والاغزر مادة ، هو (الايثيقون) او فلسفة الآداب الخلقية الذى عربه الطيب الذكر المطران بولس بهنام وقد اعتمدناه فى بحثنا هذا ، ولا ابالغ اذا قلت ان هذا الكتاب وضع مؤلفه فى مصاف كبار الفلاسفة وقادة الفكر الانسانى عبر التاريخ لانه اسهام هام وفاعل جدا فى بناء الانسان وسعادته · ونظرا الى اهمية هذا الكتاب يسرنى ان استعرضه بهذه المناسبة موردا غيضا من فيضه ، بل قطرات من بحره الزاخر ·

لقد طوى ابن العبرى فلسفته فى الاداب والاخلاق على اربع مقالات منقسمة الى ابواب وفصول ، تناول فيها الناحية العملية التجريبية لانسان الله · وكعادته فهو يتخذ الكتاب المقدس المصدر الاساسى فى بحثه ، اذ يشفع اقواله بآيات منه · مضيفا اليها اقوال اساطين الفضيلة المسيحية · وفيما يلى عرض لنماذج بل جوانب من فلسفته الاخلاقية من خلال ما أودعه مقالاته هذه الاربع ·

المقالة الاولى :

لو استعرضنا محتويات هذه المقالة لتبين لنا انه خصصها لتنظيم حركات الجسد وتهذيبها واعطاء المبادى الاساسية لحياة الانسان الروحية ، وهو يطويها على تسعة ابواب يخصص كل باب لناحية معينة من نواحى الحياة الروحية العملية ، واولى الخطوات فى هذا المضمار هى الصلاة وموقف العقل البشرى بالنسبة الى ربه اثناء تأديتها ·

يقول فى الصلاة « انها تتطلب استقامة العقل وقدرته على النزوع الى ربه بدون انحراف وهو يناجيه بدون وسيط · ان جمع العقل من الشرور ليس الامر الهين بل يتطلب جهدا شاقا وعملا روحيا متواصلا وتمردا على المادة ·· لايستطيع الانسان اتقان الصلاة مالم يستمر متعلقا بالله بقلب خاشع حينئذ يتسامى عن كل مافى الارض ويتعلق بربه ويغرق فى مناجاته ·· » · اما الخطوات العملية الباقية فهى كمالات متممة لتكوين عقلية روحية قريبة الى الله · وهى اعمال الزهد التى تحيله الى كائن روحى كامل وقادر على قهر نزوات الجسد ورغائبه الفانية · ومما يكمل ذلك الحرص على اليقظة الدائمة والهذيذ بالامجاد الخالدة المعدة للمتقين · والتصعيد العقلي

المتواصل والامعان فى الترتيل وممارسة الانشاد الروحى والترفع عما يغذى شراسة الجسد والاخلاد الى الخلوة الروحية او الاغراق فى التأملات الروحية ٠

ويقول فى التأمل « ان العارفين يفهمون التأمل كموضوع ذى شقين الاول : تأمل الانسان بأثامه واحصاء نقائصه والنظر الى زلاته ٠٠ ومالم يهدم الانسان كيانه لايمكنه بناء نفسه ٠٠٠

والثانى : ان يتأمل الانسان فيض رحمة الله الغزيرة ونعماه عليه ، وهكذا يتفجر الحمد من قلبه » ٠ اما عن الصوم وتأثيره فى النفس وفاعليته فى تخفيف وطأة الميول المنحرفة ، لابل كبحها ، فله فيه نظرته وملخصها : « بما ان الانسان خلق مزدوج الكيان عاقلا ومائتا ، وقد اعطاه خالقه درجة اسمى من البهائم وأوطأ من الملائكة، لذلك يمكن اخماد ميوله المادية بقواه العقلية ٠٠ فاذا تسلطت عليه الميول المنحرفة يمكن الصمود ضدها واخمادها بجهاده المتواصل ٠ ولهذا السبب كلما استسلم للميول هبط الى درجة البهائم ، وكلما انتصر عليها ارتفع الى درجة الملائكة وباقترابه منهم يقترب من العزة الآلهية ، لان القريب من القريب قريب وهذا القريب اى الملائكة ليس محصورا بمكان لان الاجسام وحدها تحصر فى مكان ما ٠ ففى الانقطاع المتواصل عن الطعام تخمد الاهواء المنحرفة والميول البشرية وتنصقل مرآة النفس وتصبح صالحة لانعكاس الصور الروحية » ٠

المقالة الثانية :

يبحث فيها تنظيم حياة الجسد الطبيعية وتهذيبها ومراعاة حاجاته الضرورية وحقوقه الطبيعية المعقولة لاستمراره حيا ناميا متكاملا مهذبا صالحا يشير الى هدف الانسان الحقيقى فى هذه الحياة وعلامة ذلك بالصحة الجسدية ولاينسى ان يشير الى أهمية الالتزام بالاداب العامة لدى تناول الطعام ، فهو يقول : « ان هدف الانسان الحقيقى فى هذه الحياة هو ان يعرف ان خالقه هو الله كما علمت الكلمة الالهية القائلة ٠ هذه هى الحياة الحقيقية ان يعرفوك ايها الاله الاب وحدك » ٠ وتكون هذه المعرفة نظرية وعملية ، وكلتاهما تطلبان فى صحة الجسد ٠ وصحة الجسد واستمراره تتم فى الغذاء،

وعليه ان يهذب الرغبة الطبيعية الى تناول الطعام بشروط منظمة والا لكان شبيهاً بالبهائم · ومن الاعمال الطبيعية للجسد ، الزواج - وهو من عطايا الله الصالحة · أعطى بركة للانسان كما ورد فى الاسفار الالهية · فالمرأة الصالحة هى نعمة للرجل الصالح · ويقتبس من مار يعقوب الملفان بهذا الصدد قوله « ان الزواج طريق خال من العثرات مهده الابرار بجمال فضائلهم » لذلك يحدد فوائد الزواج الصالح بما يلى :

اولا : استمرار النوع الانسانى ، ثانيا : اخماد الاهواء الجسدية حرصا من السقوط · ثالثا : راحة الفكر وابعاد التجارب الشريرة· رابعا : ارتياح الانسان بوجود امرأة معينة ازاءه خامسا : الصبر وحمل أثقال المجتمع ومتطلباته · الا أن ابن العبرى ذكر فى الوقت نفسه سلبيات الزواج او هنات الزواج كما يسميها ومن ذلك : انهاك الانسان فى سد حاجات المرأة والاولاد على حساب الاعمال الروحية · وما يقال عن الرجل فى هذا المجال يقال عن المرأة ايضا على حد سواء·

وذهب فيلسوفنا واصفا ماهو مطلوب ومشروط فى الخطيبة ، نذكر منها باختصار شديد : ان تكون مزينة بالتقوى ، نشيطة ، وألا تحمل الرجل اكثر من طاقته · وان تكون من منبت كريم ، ويشرح واجبات الرجل تجاه زوجته وواجبات الزوجة تجاه زوجها · ثم يتطرق الى تربية الطفل فيقول ضمن شروحاته وبايجاز : « بما ان فى بداية الحياة تكون أشعة العقل ضئيلة ، فعليه يجب ان تستأصل من تربة نفسه وعقله كل الاخلاق البدائية كالكذب والحسد والطمع والغش وما الى ذلك من العادات السيئة ، وذلك قبل ان ترسخ فى نفسه النامية ، والا يستحيل كبح جماحها » ·· ويستطرد حول تصرفات الشبان والشيوخ قائلا : « اذا ترعرع الانسان من الطفولة الى الشباب فالشيخوخة واصبح صالحا لمجالس الكاملين ، لايكن مهذارا ولايقاطع متكلما وليوجه كلامه طبقا للزمان والمكان وقابلية السامعين · واذا تناقش أثنان لايدخل بينهما ، واذا رأى شخصين يتشاوران فلا يقحم نفسه ليسمع منهما ، واذا تكلم مع رجال محترمين فى الولائم فليكن صوته هادئا متزنا رقيقا ولايكرر كلامه، واذا اضطر الى ذكر امور مخجلة فليلجأ الى التعابير المهذبة ولاينطق بكلام فلسفى أمام الجهلاء ، ولايقلد ساخرا فى كلام او صوت،

ولاينقل الى الرجال ذوى الحرمة والوقار كلام الاخرين ، ولايكذب ولايسرع ولايبطىء فى سيره ولايلتفت الى الوراء كالهاربين ولايحنى رأسه وهو يسير كالكئيبين » ٠

المقالة الثالثة :

اذا كان قد خصص للجسد مقالة كاملة لبحث طبيعته وأعماله فلا غرو أن يسهب فى الحديث عن النفس الأنبل والاشرف٠ لاسيما وان الكتاب المقدس يقول : انها هى الاقوى والجسد ضعيف٠ لذا فهو يرى انه من الضرورة بمكان ان تبقى النفس عفيفة طاهرة من كل شائبة ولاتميل الا الى الخير والصلاح ٠ فقد شرح ماهيتها وخصائصها العاقلة ومختلف الحالات التى تطرأ عليها من ايجابية وسلبية والقوى الشريرة التى تزاحمها بغية تشويه جمالها الروحى وقيادتها الى الانحراف عن السبل السوية التى مهدها امامها خالقها٠ ثم ينتقل الى أمراض النفس وكيفية معالجتها ويضع على طاولة التشريح كل اسقامها ويعطى الطرق الكفيلة بشفائها التام ، ثم يعود ويضع امام الانسان عناصر تلك الامراض النفسية كالشراهة والرذيلة وعثرات اللسان والغضب والحقد والحسد واباطيل الشهوات الدنيا والامعان فى فانيات الحياة والمجد الفارغ والمرأة والكبرياء والتفاخر وما الى ذلك مما يتعلق بالنفس الانسانية ومايحرفها عما خلقت له ويصف لكل داء دواء ناجعا ٠

اما عن ماهية النفس فيقول ان لها ثلاثة معانى : الاول القوة الغذائية وهى النفس النباتية التى تتغذى وتطرح الفضلات ٠ الثانى : القوة الحيوانية وهى القوة ذات الحركة الارادية والاحساس ٠ الثالث : القوة الناطقة المميزة للخير من الشر ٠

أما للعقل فأربعة مفاهيم : ١ ـ الاستعداد لاكتساب المعارف الطبيعية ٠ ٢ ـ وجود هذه المعارف كالكل اكبر من الجزء ٣ ـ المعرفة الناجمة عن الخبرة والتجربة فى امور الحياة ٤ ـ المعرفة المدركة المواضيع المعقولة الفائقة الاحساس ٠

اما الفصل الثانى عشر فيتضمن الابواب التى تدخل منها الخطيئة الى الانسان ٠ ان هذه الابواب كثيرة ، منها الحسد الذى حط الشيطان من رتبة الملكية ، والشراهة وبها سقط ادم من علياء

فردوسه · والغضب وهو قهـار للطبيعة ، ثم الهوى وحـب الزينة، والمداخلة باحكام الله ، ثم احتقار القريب وما الى ذلك · اما كيف يستطيع الانسان ان يكتشف عيوبه فهنالك اربع وسائل :

١ ـ عن طريق الاصغاء الى شيخ حكيم خبير بالامراض النفسية ·

٢ ـ عن طريق صديق يستمع الى نصائحـه لان مثل هذا الصديق هو مرآة صديقه ·

٣ ـ الابتعاد عما يسفهه الناس ويحتقرونه ٤ ـ تقبل النقد بقصد اكتشاف العيوب ·

ويقول فى الشراهة ان الرذيلة وليدة الشراهة وكذلك محبـة المال ، وحب الزعامة ، لان فى حـب المال دافعـا اساسـيا للترف ، وحافزا رئيسيا للشراهة ، ومنها يتولد الخطف والظلم والقسـوة · ويقول « لانجد فى كتاب الطب الروحى دواء لمعالجتها سـوى الجوع الذى من فوائده نقاء النفس والشعور باللذة الروحية » ·

وقد سرد فيلسوفنا ابن العبرى الكثير عن الاخلاقيات الاخرى كالصمت والكلام الباطل وكثرة الكلام والمشاجرة والخصام والشتائم والسخرية والكذب والاغتياب والثـلب والمديح والكـلام السـاذج والغضب والحسد والحقد والشهوات الباطلة ·

المقالة الرابعة :

فى المقالة السابقة بدور البحث عن الامـور التى تقود النفس الى الانحراف والفساد · وهنا يبحـث المؤلف عما يجملـها ويضفى عليها حلة قشيبة من الزينة التى تتمثل بالفضـائل المتنوعة · وفى مقدمتها المعرفة بصورة عامة لذا فهو يعنى بالعلـوم ويضع الخطط الاساسية لتدرج الدارسين المبتدئين ، داعما اقواله بآى من كتاب الله العزيز ، كما يضع منهاجا للمعلم ويشـير الى ماينبغى ان يتحـلى به المعلم من المزايا والصلاح ، لكى تنتج جهوده ثمارا يانعة طيبة · ثم يسترسل فى الحديث عن سائر الفضائل الاخرى ، كالتوبة والصبر والرجاء والتقوى ومحبة الله ومخافته ، والتأمل فى مخلوقاته وما الى ذلك ، وهذه المقالة هى مسك ختام هذا السفر النفيس وهى بحد ذاتها تكون كتابا خاصا · فبالنسبة للعلم يقول انه : قسمان : كنسي

(ديني) ودنيوى • والكنسى مثلث العناصر • فاما ان يكون اساسا أو بناء وأما مثبتا للدعائم • والاساس : العهدان الجديد والقديم ، والبناء الذى يشيد على هذين الاساسين اما ان يكون خاصا بالمنتخبين واما عاما لجميع المدعوين •

والخاص هو تعليم المعلمين النساك المبتدئين الذين يعلمون تطهير وعاء القلب وتنقية مرآة النفس • والعام هو تعليم ملافنة الكنيسة • والعلم المثبت لدعائم الاساس هو تفاسير الكتب المقدسة وشرحها ونصوصها • والعلم الدنيوى هو ايضا مثلث العناصر • فاما ان يكون صالحا واما فاسدا او بعضه صالحاً وبعضه فأسدا • العنصر الاول : العلم الصالح اما ضرورى واما كمالى ، والضرورى كالطب والمحاسبة واللغة والنحو •

والعنصر الثانى : العلم الفاسد الذى يؤدى الى خسارة روحية او جسدية كالفال والسحر • ومن ميزات المعلم الصالح عند ابن العبرى :

الا يهدف من التعليم مجدا دنيويا • ألا ينشد التنعم بالاطايب او الاثاث الفاخرة • ان يعترف بجهله اذا لم يعرف جواباً لسؤال يوجه اليه • ان يتتبع غوامض تطهير الضمير اكثر من تتبعه ظواهر المعارف الكتابية وتفاسيرها ، ان يركز هدفه على تثبيت الايمان فى نفوس تلاميذه • ان يميز مايضر قبل تمييزه مايفيد فيعلم لاماذا يفعل بل ماذا لايفعل •

ومن الفضائل الاخرى، الايمان، ويحدده بثلاثة امور وهى : الايمان بالله ، الايمان بتجسد الكلمة • والايمان بالحياة الجديدة • وهو ينصح بوجوب ترسيخ هذا المبدأ فى المؤمن منذ الطفولة وان يمرن الانسان نفسه على الالفاظ الروحية المرددة فى خدمة القداس الالهى • وهناك التوبة وهى عاطفة عاقلة تهدف الى تبديل الشر بالخير • ولهذه العاطفة ثلاثة عناصر تبرزها الى الوجود وهى المعرفة ، والارادة والعمل •

ويقول فى الصبر : الصبر هو الاعتراف فى الجهاد وهو موضوع بين نظر سابق وعمل لاحق فالنظر هو الاول لانه يعطى الانسان مجال التفكير والمعرفة الحقة بان النعيم الدنيوى المادى يؤدى الى عذاب النفس الابدى • والعمل هو الاخير لان الاعراض العقلى عن المتعة المادية هو

الاحجام عن اى نشاط مضن يتبعه ، وهذا هو الصبر ٠٠ وكتب عن انواع التجارب ثم عن الشكر لله ونعمة الله وانواع النعم ٠ وعن الرجاء يقول : الرجاء هو اشتياق النفس الى نوال مايحبه بعد اعداد الوسائط التى ينال منها المحبوب ٠ وكتب عن اسباب الرجاء فقال بان هناك اربعة اسباب للرجاء وهى :

١ ـ الاكتفاء بما يسد الحاجة الضرورية ٢ ـ مطابقة الاعمال الجسدية للشرائع ٠ ٣ ـ تنقية النفس من الاهواء المنحرفة
٤ ـ تجميل النفس بالفضائل ٠

وفى معرض حديثه عن الصداقة والاصدقاء يقول :

هناك اربع درجات للمشاركة الحبية بين الاصدقاء وهى : سفلى، ووسطى ، وعليا ، وممتازة ٠ فالسفلى هى ان يعتبر الصديق صديقه كنفسه ٠ والعليا هى ان يفضل الصديق فائدة صديقه على فائدته الخاصة ٠ والممتازة هى ان يبذل نفسه من أجل صديقه كما فعل الفادى الالهى حيث قال « مامن حب اعظم من هذا ان يبذل الانسان نفسه لاجل اصدقائه » ٠

هذه ذروة التعاليم الروحية التى يقدمها الفيلسوف للبشرية وهى بحق القمة فى المبادى والقيم والاخلاق الانسانية الطاهرة ٠

جَوْهَرة السِّرْيَان

أبو الفَرَج ابن العِبْرِيّ المِلْفَان

ـ مؤيد القس هـادى ـ

أغثني ؟ خافقى رفض الدلالا ... وصاح الام ؟ وانفعل أنفعالا
خفايا كنت أحسبها ٠٠ خيالا ... يراقص فى متاهته الخيالا
فما أن رحت أقرأ لابن عبرى ... أراهنك أمتثلت له أمتثالا
هموما فوق صدرى قد أناخت ... أزاح الله ٠٠ أحمده ٠٠ تعالى
فأحنيت الجبين لمن تغذى ... علوما كان يلقيها ارتجالا
(أبو الفرج) المعمد فى ملطيا ... (جمال الدين) أسموه فنالا
أكاليل التقى ٠٠ وهجأ سطوعا ... ليعطي الدين ميراثاً حلالا
ولقب (بأبن عبرى) فى صباه ... لامر قاهر غذى النضالا
فخاض لحاجة النهر الفرات ... لأنطاكية شد الرحالا
ترهب وهو فى عز الربيع ... يشاغله ٠٠ تلهفه أنشغالا
عزوفا أنت نفسي عن زهور ألـ ... دنا ٠٠ ودعي دياجيها الطوالا
أيا (جوباس) ألبسك ألاماني ... فتى عشق الكنيسة فأستحالا
(لجوهرة) بنو السريان زهوا ... بمكنوناتها تاهوا تعالى
تخر له اللالىء ساجدات ... ليبني المجد مجدا لن يطالا
فتنظر صوب (بيعته) عقول ... لوقت عايشت حتى الضلالا
أبحر الحكمة الملأى كنوزا ... سقيت نفوسنا ماء زلالا

أنـور المشـرق الوضـاء دعني الملـم أحرفى ·· شعرا ·· مقالا
تشـم ورودك الفواحـة الا رض ، ترشد تائها ذاق الكـلالا ··
شـموس العلم بين يـديك رهـن ملأت الكون شـدوا وابتهـالا
شـموخك لات حـزت على أهـاب (مفـريانا) على الشـرقين آلا
لأنـت الانت ملحمـة تبـاهى بها الابنـاء أذ نلت الكمـالا
فأتقنت اللغـات وكيـف تنمـو ورحت تزف غرسـك والغـلالا
فنازلـت الرئيس(١) بـلا مـلال واعطيت الغزالي المثـالا
أيا (لاقبين) خصك بالعطـايا أب ن (توما) بعدما صأل ·· وجألا
حثيثـا فى دروب اللـه حتـى هوت بشـرى على (حلب) فزالا
كلمع البـرق هم عـن بنيهـا أتاها ثائر رفـض المحـالا
فأنشأ (بيعتـين) معـا (وديـرا) وأذكى شعلة الـدين أشـتعالا
سـلاما يابـلاد الرافـدين تقاسمي نشوة العيد أحتفـالا
بمقـدم درة الازمـان طـرا يمينا ·· نينوى أمتشقت نصالا
لتسـعى فى مناكبـها وتجـني ضحى غدها ·· فأعلنت النزالا
أبو الفـرج أبتسـامات حوتـه فنادى يا أبنة الكرم الوصـالا
تعـالى نعصـر ألافكـار خمـرا نبايعها الهوى ·· قالـت ، تعالا
لتشرب من صفاء الغيـب فيضـا وتـأكل مـن فواكهـه المنـالا
وتنهل مـن كـؤوس صـافيات ضياء (عناية) سـطعت نـوالا
بنيت السـور ياملكـا تسـاقى خمورا ليس فبهـا مـن ثمالا
دخـلت مـدينة ألالـق المصـفى عروسك (نعمة) نسجت خصالا
ألا هبـي جمـوع العـارفين فأن حكيمنا سد المجـالا
ولم يتـرك لغـيره مـن نفيـس فداه ، فداه ·· قد ملأ السلالا
وذاق محبـة اللـه المفـدى تقرب منه فآتصل أتصـالا
له ، فى (مخزن الاسـرار) شمس وفى (الاحداق) أصطحب الجدالا
بيارق حكمة ومنـار علـم طبيباً · كان ملفانا ·· هـلالا
وفلسـفة تطـاوع فيلسـوفا غدا علامة الدنيـا السـجالا
وفى اللاهـوت روضتـه شـممنا عبير ورودها (وشـرار) سـالا

---

(١) هو الشيخ ابن سـينا

وديـــرك ياحـــبيبي الشـــيخ متـــى غدا بيتا لكـــل الشعب آلا
مقـــرا لابـــن عبـــرى في ذراه بنى (قلاية) صدحت جـــلالا
يخفف مـــن هـــموم النـــاس عبئـــا يلقنهم على اللـــه أتكـــالا
ويكتب فى كتـــاب السفر ســـفرا فضـــائل حبره رفضـــت زوالا
فقد غـــمرت حشـــاه ظـــلال ربي ليملأ أنفســـا ســـئمت مـــلالا

أبا البـــركات جئتـــك لاتقـــل لي شعاعك يرفض الطلبات ، لا لا
نفضت غبار أمسي عـــن صـــباحي ليطرد نورك الســـدف الذبالا
فأسال قـــلب قـــديس يصـــلي لربه ٠٠ مثل أترابي الســـؤالا
ألا اطلب من يســـوع رضـــا علينا ليعطينا المنى صبرا واحتمـــالا
فكم صعدت لـــديرك فى أشـــتياق وكحلت العيون بك أكتحـــالا
قلـــوب زال عنهـــا ماتـــــراءى لها من صه صه ، فرمت ثقـــالا
تقـــول بيـــارق الولـــه المعنـــى بأن الذئب قد آخ الغـــزالا
غـــزت نفسي الفضـــيلة فى سخاء ففاضت بعدما ذاقت هـــزالا
أخي اقرأ تعاليم (أبـــن عبـــرى) لتجني حكمة تهـــب المنـــالا
لان أللـــه والهفـــي جميـــل يحب العارفينا ٠٠ والجمالا
فمن تك يا أبن هاتي الارض حتى تغازل هاهنا ذهبا ومـــألا ؟
وتتـــرك ربك ألاعـــلى ٠٠ أغثنـــي أغثني ؟ خافقى رفض الدلالا

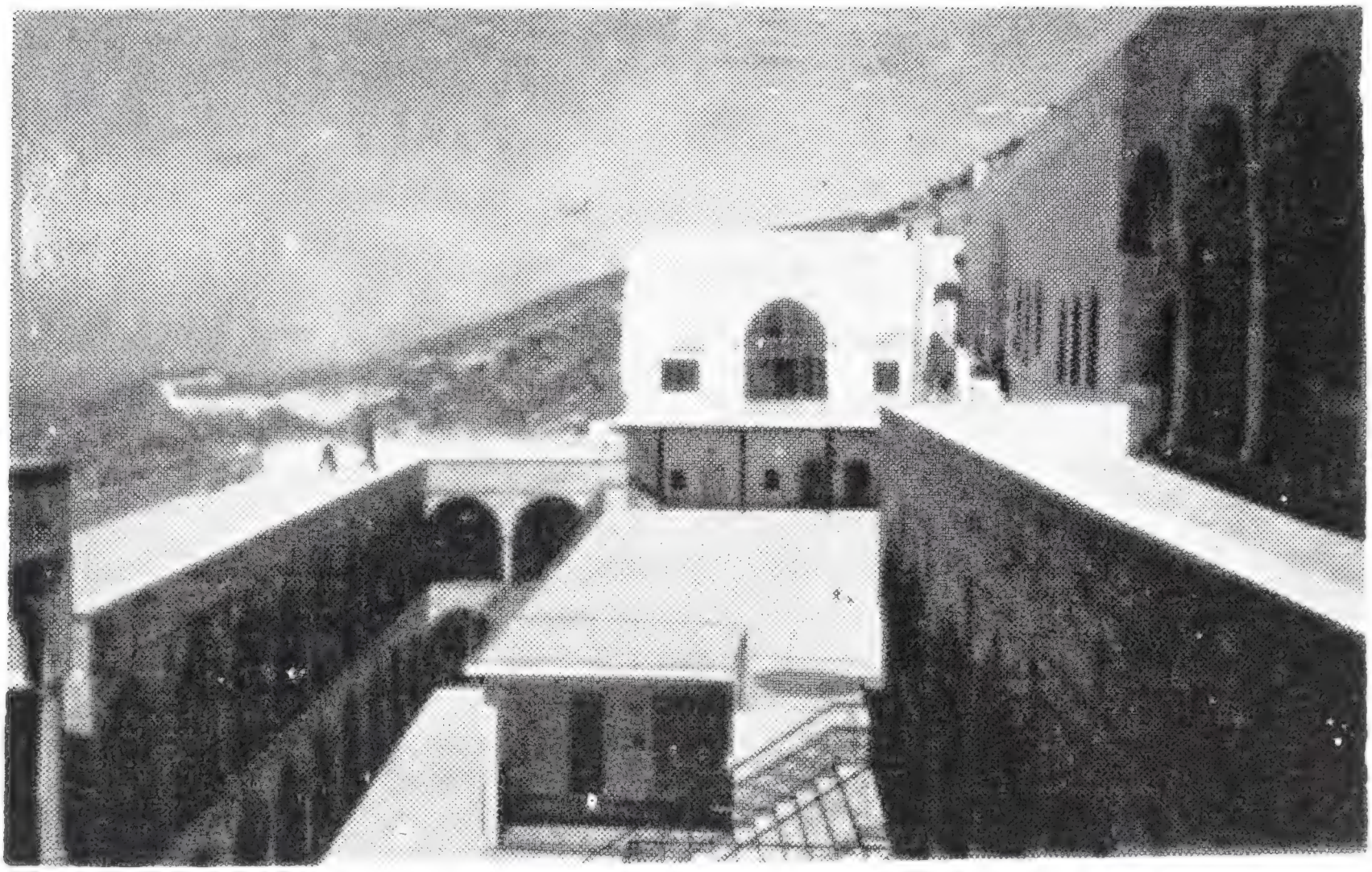

دير مار متى ـ منظر داخلى ـ الجهة الغربية

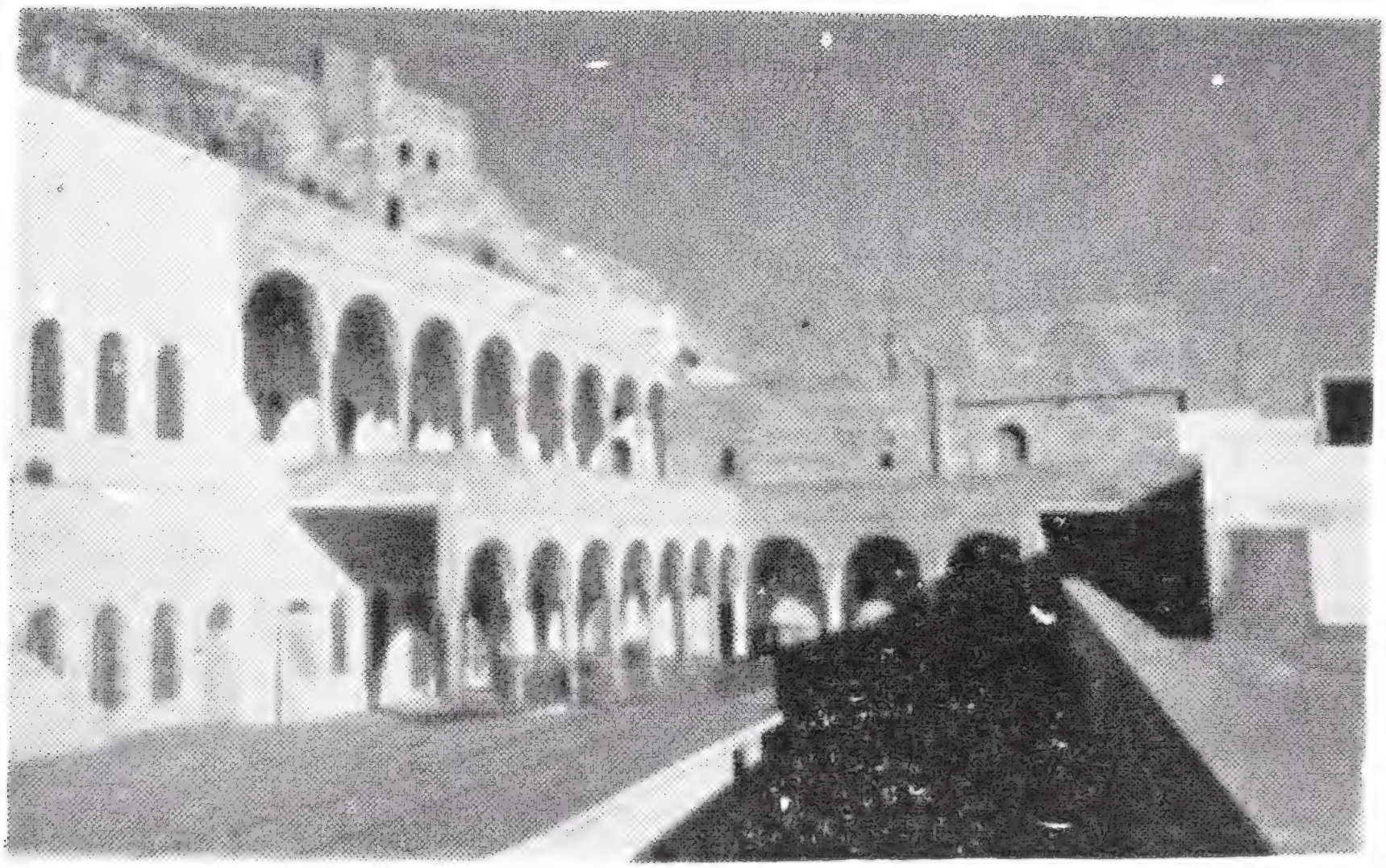

دير مار متى ـ منظر داخلى ـ الجهة الشرقية

المفريان ابن العبري

منزلته العلمية لدى العلماء والاختصاصيين

ـ الاستاذ سهيل قاشا

أجمل ما افتتح به حديثي المتواضع هذا عن ابن العبرى ، ماجاء على لسان مؤلف ترجمة حياته المنظومة المطران (جبرائيل البرطلى) المتوفى سنة ١٣٠٠م اذ قال يحق فيلسوفنا وشاعرنا غريغوريوس يوحنا المفريان الملفان :

« انه رفع رأسنا بعد ان كنا ذليلين ، ومنح المشرق الحكمة ، والعلم بعد ان كانت كنيسته صفرا من ذلك ، وصار تلامذته ملافنة وعلماء فى بلادنا ، ونشر الايمان موعظة فى مدننا وقرانا » .

وهكذا فمن حق كنيستنا السريانية بشقيها ان تفتخر بدرة تاجها المثلث ابن العبرى كما تفخر الكنيسة الغربية بواسطة عقدها توما الاكويني .

يقول العلامة اوجين بورى : « يظهر لنا ابن العبرى تحت هذا المصباح كانه مقدمة لتوما الاكوينى ، بل هناك مقارنة مذهلة بين مؤلفات ابن العبرى وبين الموسوعة اللاهوتية التى كتبها توما الاكويني » .

لا اريد هنا ان اتطرق الى ترجمة عمود عزنا ابن العبرى ، انما احصر حديثى فى ميزته العلمية من خلال اقوال العلماء الاعلام والمختصين من الباحثين فى مجالاتهم العلمية او الادبية ·

بلغ ابن العبرى شأنا عاليا فى ميادين المعرفة ، وسبر اغوار الحكمة العميقة، وصال وجال فى ساحات العلوم الفلكية والرياضية، واروقة الفكر الفلسفية واللاهوتية ، وخفايا التاريخ الكنسية والمدنية ، وبذا اكتسب وبحق منزلة علمية لم يكتسبها احد قبله ولابعده من السريان الا القلة النادرة ·

يقول العلامة فنسنك الالماني : (ظهر ابداع ابن العبرى فى جميع علوم عصره ، واستطيع ان اطلق كلمة بحق هذا الرجل وهى : انه علامة عصره » ·

ولقد اعجب المستشرقون المهتمون بالدراسات السريانية بنبوغ ابن العبرى وعبقريته ،فلقبوه «بدائرة معارف القرن الثالث عشر» ·

ونقلت الينا دائرة المعارف بانه « اشتغل بالعلوم اللاهوتية والرياضية والفلسفية على بعض مشايخ اليعقوبية(١) فى انطاكية ، وبرع فى كل ذلك حتى قيل انه لم يكن له نظير من اهل عصره » ·

فلو غامرنا وتشجعنا لان نقتحم خزانات المكتبة العالمية لوجدنا ابن العبرى قد سبقنا اليها بما آغناها من مجلدات ورسائل وكتب وفى كافة جوانب الفكر الانساني ·

فلقد برع بالطب مبكرا وانفرد به وفيه فى زمانه · وهذا ماقاله بحقه المؤرخ العراقى الكبير عباس العزاوى المحامى « وترجم واختصر كتبا شتى فى هذا الصدد فجاءت كتبه آية فى الاعجاب والاتقان ومن تلك المصنفات : كتابان بالعربية ، جمع فيهما آراء الاطباء فى المواد الطبية ومنافع أعضاء الجسد ، الا انهما مفقودان، وكتاب شرح الفصول لابقراط ·· كما شرح بالسريانية « مدخل الطب » او المسائل الطبية لحنين بن اسحق النسطورى ··· ونقل الى السريانية كتاب ديوسقوريدس فى المفردات الطبية وقانون ابن سينا · كذلك اختصر كتاب « الادوية المفردة » للغافقى ·

---

(١) الصحيح السريان الارثوذكس

وبحث ابن العبرى فى علم الهيئة والجغرافية ، والف فى هذا الموضوع كتبا شتى منها : تفسير كتاب المجسطى لبطليموس · كتاب الزيج الكبير فى معرفة الكواكب لاستخلاص التقويم السنوى · ابحاث فى كتاب منارة الاقداس · ابحاث فى كتاب الاشعة · كتاب الصعود العقلى · اما فى علم اللغة فقد هذب اللغة السريانية بعد ان اصابها كثير من الضعف ، ووضع قواعد لها فى النحو والصرف وادخل اليها المصطلحات اليونانية · والكتب التى الفها بهذا الصدد لدليل واضح على علو كعبه فى هذا الميدان،فكان له فيها القدح المعلى

جاء فى موسوعة تاريخ الادب : « واصبحت مؤلفاته الادبية مشهورة ، وسبيلا اقتدى بها السريان فى القرون التى تلت عند الشرقيين والغربيين وهو اخر كتاب السريان » ·

ومن جملة الكتب التى وضعها فى علم اللغة وادابها :

كتاب الاضواء او اللمع «صمحا» فى النحو · كتاب الغراماطيق وهو ارجوزة منظومة بالوزن السباعى المقفاة · كتاب الشرارة فى النحو · ديوان شعر يعتبر من اروع ماخرج من ايدى فلاسفةومفكرى السريان ، واخص قصائده « الحكمة الالهية » ·

وكان ابن العبرى يتقن لغات عديدة منها : (السريانية والعربية والفارسية والتركية والارمنية واليونانية والعبرية) ·

يقول خيرالدين الزركلى صاحب قاموس الاعلام : « كان بصيرا بالارمنية ، ماهرا فى الفارسية واليونانية والسريانية » ·

ونقلت الينا دائرة المعارف الاسلامية فى وصف ابن العبرى :

« برع الابن ـ ابن العبرى ـ فى العربية والعبرية ، واينما حل كان يزيد علما على علم » ·

ويقول محمد عطية الابراشى الباحث الشهير : « ويعتبر ابن العبرى من اشهر مؤلفى السريان ، وكان يجيد الاغريقية وهو شاب ويميل الى الفلسفة) ·

ووصفه العلامة السمعانى الشهير بقوله : « انه امير كتبة الكنيسة اليعقوبية(١) · وهكذا قال الباحث الاستاذ الحداد ·

أما فى علم التاريخ فيعتبر علامتنا من اغزر المؤرخين مادة واطولهم باعا واعلاهم شأنا ، لانه سلك فى هذا الصدد طريقة التتابع الزمنى وسرد الحوادث فنال احترام المستشرقين فى هذا

الميدان حتى انهم نسوا اعماله العلمية والفلسفية وانصرفوا الى ما ابدعه فى علم التاريخ وحكموا على ابن العبرى كمؤرخ فقط ومن اولئك المستشرقين لامي وبيجان ٠

يقول المؤرخ الكبير فيليب حتي عن ابن العبرى بهذا الصدد : « وجدير بالذكر ان الجاثليق السريانى ابا الفرج ابن العبرى المعروف كمؤرخ ، وهو اخر رجال الادب السريانى انما كانت محاضراته فى ذلك المركز العلمى ـ فى مراغة ـ فى اقليدس وفى بطليموس » ٠

ونقلت الينا عنه موسوعة عباس محمود العقاد الكاتب العربي الشهير « بينما كان يوسيفوس مثلا للمؤرخ القديم من الوجهة الاسرائيلية فابن العبرى أبو الفرج بن هرون صاحب مختصر الدول ٠٠٠ قد يكون المثال الوحيد للمؤرخ القديم من الوجهة المسيحية » ٠

ويقول الاب انطوان صالحانى اليسوعى الذى نشر كتاب « مختصر تاريخ الدول » ٠ فى مقدمته : (٠٠ وقد كان مؤلفه واسع الاطلاع متقنا الكثير من العلوم واللغات معروفا بالبحث عن غث الاخبار وسمينها فروى كل ماروى عن خبرة وذكره على الهيئة التى وقعت فكأنه اخذ صور الوقائع والسير والتراجم على ضياء الشمس لارسم القلم ٠٠ » ٠

والكتب التاريخية التى خرجت من يد ابن العبرى فى هذا المجال هى :

تاريخ مختصر الدول بالعربية ، تاريخ الازمنة بالسريانية ، التاريخ الكنسى وبمجلدين بالسريانية ٠ رسالة فى اخبار العرب واصلهم وعوائدهم بالعربية ٠

اما العلوم اللاهوتية ، فقد خاض فيلسوفنا غمارها ، ولم يدع مشكلة فى هذا العلم الا وبحثها من الناحية العقلية ، فجاءت ابداعاته فى العقيدة المسيحية ٠ وفى اسرارها وتاريخ اراء المضللين بحجج عقلية ونقلية وغربل الكتاب المقدس واصبح اماما للكنيسة الشرقية فى هذا المجال حتى يومنا هذا ٠

وقال بوشتارك الالماني فى كتابه تاريخ الادب السريانى « ـ وابن العبرى ـ احد كبار فلاسفة الشرق ولاهوتييه ، وحكماء الدنيا غير منازع » ٠

وقال صاحب قاموس اسماء مشاهير النأس : « وابن العبرى هو أخر ادباء وفلاسفة السريان بحث فى اللاهوت والفلسفة والعلم »·

ويقول اخوه برصوما الصفى : (ومن غيره كان يستطيع ان يضع قضية لاهوتية او اية مسألة اخرى ·· ومن غيره كان لـه هذه العبقرية للكتابة بمثل هذا الجمال واللطف الذى حباه الله،وبكل المعارف المتخلية وحتى اخر لقمة تناولها وهو فى الستين لم ينقطع عن الدرس ·· » ·

كما انه اهتم بالتشريع الكنسى ، والقانون المدنى ، فكتب فى هذا المجال بحوثا ورسائل عدة من اهمها كتاب « الايثيقون » وكتاب (الحمامة) فنقلت الينا دائرة معارف الدين والاخلاق عنه : « انه الفريد من نوعه فى الكنيسة اليعقوبية[1] ممن اهتموا بالقانون ، ومقدرته اللاهوتيه جعلته اعظم رجال عصره من الشرقيين فى القانون » ·

كذلك كان ابن العبرى شارحا مهما لارسطو ، فقد نقل افرام البستانى فى موسوعته ان احد مفكرى الاسلام المعاصرين لابن العبرى قال : « انه كلما سمع المفريان يشرح له قضية كانه يتلقى العلم عند ارسطو نفسه » ·

وقال المستشرق بروك : (ان ابن العبرى المتوفى سنة ١٢٨٦م كان ينقل اراء المدرسين من مراجع دقيقة نقلا صريحا مع ذكر اسماء اولئك المدرسين » ·

ومن ابرز تآليفه اللاهوتية :

مخزن الاسرار فى تفسير اسفار العهدين القديم والجديد ، منارة الاقداس وهو موسوعة لاهوتية فلسفية ، كتاب الاشعة ثم كتاب الهدايات فى الشرع القانونى ، المدنى والدينى والقانون الكنسي ·

اما الفلسفة فقد استوعبها فيلسوفنا معتقدا بانها علم اغريقى والم بكل فروعها : الطبيعيات والمنطق ، والتصوف ، والاخلاق واظهر براعته فى هذه المواضيع · وخلف لنا فى هذا الميدان كتبا عديدة منها : زبدة الحكم ، وتجارة التجارات ، والاحداق ، وحديث

الحكمة ، ورسالة فى النفس ، والاشارات والتنبيهات ، وكتاب الايثيقون والحمامة وغيرها ·

كما ان لابن العبرى رسائل عديدة فى علم الفلك والرياضيات وادب الهزل وغيرها ، مما يجعلنا ان نهتف مع المطران دولبانى « انه وحيد زمانه ، الذى اجمع على ابهته جميع الفقهاء ، والمهرة ، فى كل مكان وزمان ، واضفوا عليه نعوتا كثيرة منها : ملك العارفين وزينة الملافنة ، وغيرهم مرآة البلغاء او فخر الحكماء وجمال العلماء وغيرهم اكليل المفارنة وتاج الرؤساء ، الشهير بين الفلاسفة والمحبوب من قبل الجميع مثل العمل والقدوة فى الفضيلة »·

اما عن مزاياه فحدث ولاحرج · ولا اريد ان اضيف شيئا على ماقاله شقيقه الصفي : « لم اره خلال اربعين سنة يمسك درهما بيده واذا ماقدم له المؤمنون بعض المال يدعه موضوعا على الطاولة ، حتى اذا ماحضر احد تلاميذه ، يشير اليه برفعه من امامه واذا ماتجمع لديه بعض المال يفكر فى طريقة لانفاقه » ·

ويضيف الى قوله : « اننى لا استطيع ان اعبر عن صلاحه وتواضعه وهدوئه وطيب معشره ، وكبر نفسه » ·

فاشتهر صيته وذاع خبره فى الخافقين ، فعندما قام بزيارة رعوية تفقدية لابناء الكنيسة فى بغداد ، استقبل بحفاوة بالغة جدا، واذ التقاه جاثليق السريان النساطرة صرح امام جماهير المستقبلين قائلا : « طوبى لشعب له مثل هذا » وهذه آية مستقاة من المزامير اطلقها الجاثليق وهو يعبر عن مدى محبته وعلو مكانة الزائر لديه ·

هذا هو امامنا ابن العبرى الذى وصفه وبكل جدارة الملفان المطران بولس بهنام بانه كان عالما نحريرا ، وفيلسوفا خطيرا ، ولاهوتيا قديرا ، ومشرعا ماهرا ، واخلاقيا كبيرا ، وطبيبا حاذقا ، ومؤرخا دقيقا ، ولغويا محققا ، وشاعرا مفلقا ، طوق جيد البيعة السريانية بنفائس القلائد ، وهى مؤلفاته الخطيرة التى جادت بها قريحته الوقادة فى كل علم وفن ، فرن صيته فى الاقطار ·

وليس لى وانا فى هذا المهرجان الكريم الا ان اقول :
للزمن وقفات ، منها يوم انجب للعالم ابن العبرى ·
للكنيسة سجدات ، منها يوم نصب مفريانا على مذبحها ·
للعلم اعلام ، منهم يوم وضع موسوعته اللاهوتية ·

للمعرفة رايات ، خفقت احداها يوم غمس ابن العبرى ريشته لأول مرة وسطر اول سطر من كنوز الاكناز ·

للفلسفة ابكار ، منهم بكـرها الاسمى ابن العبـرى يوم نعتها بالمحبة الالهية ·

للكون اقمار ، وقمرنا ابن العبرى قمر السريان البهى ، اطل بطلعته الهلالية على الكنيسة السـريانية فانار جوانبها وسـط ظلام خيم عليها منذ عصور وعصور ·

ابن العبرى الملاح الماهر الذى جذب السفينة فى خضم هوائج العثرة والسقوط الى ميناء السلام الأمين ·

« نادرة العصور واعجوبة الدهور،كبير فلاسفة الشرق،ولاهوتييه، حكيم الدنيا بغير معـارض » ·

وخير مانختم به كلامنا هذا ماقاله عنه قداسة البطريرك افرام برصوم فى ديوانه « قيثار القلوب » ·

بنيتـم لنا مجـدا فليس له نـدّ
فنلنـا بـه سعدا ويا حبـذا السعد
لك اللـه مـن حبـر يعـز نظـيره
ومثله فى الايام مـن قبـل او بعـد
تبحـر فى شـتى المعـارف أمـردا
كذا الحكماء قد باشـروها وهـم مـرد
وحبـر اسـفارا كثـير عديدهـا
بها ينجـلي العلـم الصـحيح ويمتـد
فخلـد الاثـار عظـاما جليلـة
باطيـب انغـام عناديـلها تشـدو
ففـي الفقـه واللاهوت عـزّ كفـاؤه
وفى الطـب والافـلاك فى عصـره فرد
وفى الحكمـة الغـرّاء والنحـو حجـة
وفى الشـعر والتاريخ راياتـه تبـدو
وحشى كتـاب اللـه شـرحا محـررا
متونا صحاحا ملؤها الضـبط والنقـد

وساس الرعايا اينما حل ركبه
سياسة راع صالح شأنه الجد
وروض نساكا على سنن التقى
فطاب لهم ومن نقله الروّد والورد
غريغوريوس الحبر يا اوحد الألى
بهم ساعد السريان في العزّ يشتد
لك الرتبة العليا فى قلب امة
تدين بحب العلم مذ ضمها المهد
ايا قطب اهل العلم واحد عصره
لانت نضار الدهر والعلم الفرد
يطيب لنا فيك المدائح والثنا
ويعبق فى الانفاس من ذكرك الند
ونهتز بشرا والعيون قريرة
بذكراكم مافاح فى روضنا ورد

اما دیدار مرد نخست از همه، و فرشتهای
فرمان آن میشنید و بانگ بزد بلند و
تواند بیرون شد از خانه که در وی است
چون نگاه کرد بسیار آدمیان بیرون آمدند
و از پس ایشان میشد تا بدان جایگاه که
ان خانه بسیار بود. آن
و از پس ایشان میشد تا بدان جایگاه که
بانگ بزد فرشته دوم و گفت
حساب کن با من آنچه بر تو است
و از پس ایشان میشد تا بدان جایگاه که
دست بداشت از کار و بنشست
و از پس ایشان میشد تا بدان جایگاه که
بیامد فرشته سوم و بانگ بزد
و از پس ایشان میشد تا بدان جایگاه که
بیامد فرشته چهارم و بانگ بزد
و از پس ایشان میشد تا بدان جایگاه که
بیامد فرشته پنجم و بانگ بزد
و از پس ایشان میشد تا بدان جایگاه که
بیامد فرشته ششم و بانگ بزد

ﻣﺎﺷﺎﺀ ﷲ ﻛﺎﻥ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻌﺎﻡ ﺧﻴﺮﺍً ﻭﺑﺮﻛﺔً
ﻭﻧﻌﻤﺔً ﻛﺜﻴﺮﺓً ﻭﺃﻣﻄﺎﺭﺍً ﻭﺍﺳﻌﺔً ﻭﺍﻟﺤﻤﺪ ﷲ
ﻭﻛﺎﻧﺖ ﺍﻟﻤﺤﺎﺻﻴﻞ ﻛﻠﻬﺎ ﻭﺍﻓﺮﺓً ﻭﺍﻟﺤﻤﺪ ﷲ
ﻭﻋﻠﻰ ﻫﺬﺍ ﻓﻘﺪ ﺍﺗﻔﻖ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺒﻠﺪ ﻋﻠﻰ ﺃﻥ
ﻳﺨﺮﺟﻮﺍ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﻤﺼﻠﻰ ﻳﻮﻡ ﺍﻟﺜﻼﺛﺎﺀ ﻭﻳﺼﻠﻮﺍ
ﻓﻴﻪ ﺻﻼﺓ ﺍﻻﺳﺘﺴﻘﺎﺀ ﺭﻛﻌﺘﻴﻦ ﻛﻤﺎ ﺻﻨﻊ
ﺍﻟﻨﺒﻲ ﷺ ﻭﻳﺨﻄﺐ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﺧﻄﺒﺔً ﻭﺍﺣﺪﺓً
ﻭﻳﺴﺘﻘﺒﻞ ﺍﻟﻘﺒﻠﺔ ﻭﻳﺤﻮﻝ ﺭﺩﺍﺀﻩ ﻭﻳﺪﻋﻮ
ﺑﻬﺬﺍ ﺍﻟﺪﻋﺎﺀ ﻭﻳﺮﻓﻊ ﻳﺪﻳﻪ ﻭﻳﺠﻬﺮ ﺑﺬﻟﻚ
ﺟﻬﺮﺍً ﺷﺪﻳﺪﺍً ﻭﻳﺴﺘﻘﺒﻞ ﺑﺒﻄﻮﻥ ﻛﻔﻴﻪ ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ
ﻭﻳﺠﻌﻞ ﻇﻬﺮ ﻛﻔﻴﻪ ﺇﻟﻰ ﻭﺟﻬﻪ ﻭﻳﺠﻌﻞ ﺑﻄﻮﻧﻬﻤﺎ
ﺇﻟﻰ ﺍﻷﺭﺽ ﻭﻳﺮﻓﻊ ﺻﻮﺗﻪ ﺑﺎﻟﺪﻋﺎﺀ ﻭﻳﺨﻔﻴﻪ
ﻭﻳﺠﻬﺮ ﺑﺎﻟﺪﻋﺎﺀ ﻭﻳﺨﻔﻴﻪ ﻭﻳﺪﻋﻮ ﺑﻬﺬﺍ ﺍﻟﺪﻋﺎﺀ
ﻭﻳﺪﻋﻮ ﺑﻬﺬﺍ ﺍﻟﺪﻋﺎﺀ ﻭﻳﺪﻋﻮ ﺑﻬﺬﺍ ﺍﻟﺪﻋﺎﺀ
ﻭﻳﺪﻋﻮ ﺑﻬﺬﺍ ﺍﻟﺪﻋﺎﺀ ﻭﻳﺪﻋﻮ ﺑﻬﺬﺍ ﺍﻟﺪﻋﺎﺀ

ترجمة القصيدة السريانية
ابن العبري

نظم : المطران صليبا شمعون
القاء : الافودياقون عامر اسكندر

ياكوكبا اشرق فى سماء الكنيسة السريانية
ووشحها مزينا اياها بمختلف محاسن المعرفة ٠
يامعينا تدفقت منه جداول عذبة لشعبنا ٠٠
فانتعش ، وأطفأ بها غليله ٠

× × ×

اذا ماتجاسرت ونزلت لاسبح فى بحر علومك
سأهلك حتما وسيمحي اسمي من سفر الحياة
ولكن الحياة ستكتب لى بمجرد وصولى الى شواطئك
حيث سأستنشق منها رائحة الحياة كما من رياحين ٠

× × ×

أى اكليل أضفر لك ، ياعظيم الملاقنة ؟
وأية خيوط هى الافضل ، يارئيس الرؤساء ؟

فخيوط الحرير ليست من المتانة بمكان
لذا فسأستعير' اشعة الشمس فهى الاقوى والأمتن ٠

× × ×

اني لاخجل ان اتحدث عن محاسنك المدهشة الاخاذة ،
بل واخشى الاطلاع على سجل حياتك ، ايها الاب الجليل ٠
بيد ان اشتياقى الى عذوبة ينبوعك
يحفزني على الدنو منك ولئن بخجل ٠

× × ×

ان لسانى ليعجز عن ان يتحدث عن عظمتك
وفمى ، تعوزه الكلمة ان شاء نشر اخبارك ٠٠
او اذاعة جمال محاسنك فى العالم
وحتى من ان يرتل كما ينبغى ، فى يوم ذكراك ٠

× × ×

ان جلالك لاسمى من كل ضروب المديح
والعيون ألتي تنظر الى سنائه تصاب بالعمى
وتأخذ الدهشة كل من تأمل رفيع شمائلك
فيتساءل ، ترى أمن ابناء آدم انت أم من ابناء الملائكة ؟

× × ×

مذ وضع لك تاج الملفنة الرفيع
وارسل أشعته الى كل حدب وصوب
أخذت السريانية تتباهى بين الشعوب
لان بك فازت بالظفر والمجد الاثيل ٠

× × ×

أيها الراعي الصالح الذى قاد قطيعه الى مروج خضرة
مقدما له وبسخاء أدسم الاطعمة
ومشبعا اياه من كلمة الحيـاة
مؤمنا له بذلك الحيـاة الابدية ٠

× × ×

انك دوما فى ضمائرنا واعماق مشاعرنا
ومسـتقر ابـدا فى قلوبنـا
فلا تغيب لحظة او تبتعد عن ذاكرتنا
وحيثما اتجهت اعيننا ، فأنت آنت هناك ٠

× × ×

ونحن نقيم هـذا الحفـل ٠
يجدر بنا ان نمطر قصائد المـدح وابلا
لذلك الجبار العامل النشيط سيد العلماء ٠٠
ابن العبرى ، العلامة والكاتب البارع ٠

× × ×

المحبة والمجتمع في فكر ابن العبري

ـ الاستاذ متي جلو

يقول علماء الاجتماع « ان المجتمع هو اوسع تجمع اقليمي لجماعة من الناس ارتبطوا بصلة الحضارة ، ويؤمنون بقيم واحدة وتجمعهم مصالح مشتركة وعلاقات منظمة وينشأ بينهم تعاون في الحياة الفكرية والمادية(١) » ومفهوم هذا القول قريب من مفهوم قول علامتنا ابن العبرى « ان اسم المدينة يطلق على المجتمع البشرى المتألف من افراد كثيرين مختلفين بالعمل والصناعة · وهم مجتمعون في بقعة واحدة » ·

فالمجتمع هو الذى يجمع بين الانسان واخيه وابن قبيلته ووطنه، وبذلك يمنحه صفة الانسانية · فلا يمكن ان يعيش الانسان والحالة هذه بمعزل عن اخيه الانسان ، لذا استوجب وجود تعاون بين الافراد والجماعات المختلفة لغرض الحصول على الحاجات المشتركة بينهم · فكل فرد بحاجة الى معونة الاخرين لعجزه عن سد جميع حاجاته بمفرده · وهذا مايؤكد عليه علامتنا ابن العبرى حيث يقول : « ان الانسان لايستطيع ان يعيش وحيدا ، والا لاحتاج بمفرده ان يعد قوته وكسوته ومسكنه وسلاحه ··· وبما ان هذه الاعمال تفوق مقدرة شخص واحد بمفرده، لذا قادت حكمة الله البشر الى الاجتماع·

---

(١) الدكتور جليل طاهر ـ محاضرات

وعندما يختص كل انسان بصناعة خاصة ، عندئذ ينظم العالم تنظيما متقنـا » ٠

ان ابناء المجتمع لايمكن ان يكونوا اعضاء حقيقيين او نافعين الا فى حالة وجود نوع او درجة من العشرة او التعايش الاجتماعى او الروابط الاجتماعية فيما بينهم ٠ لان هذه الـروابط تؤدى الى الوحدة الاجتماعية بين سكانه ، وعن طريقها يستطيع المجتمع مواجهة المشكلات التى تجابهه ٠ ان اهمـية هذه الوحدة الاجتمـاعية تظهر بجلاء عندما تتسامح مع الجماعات فى حل مشكلاتها حرصاً منها على المصلحة العامة للمجتمع ٠ ويقول الفيلسوف أبن العبـرى فى هذا الصدد : « بما ان نواقص البشر تنقلب الى كمـال باجتماعهم ، فهم بحاجة اذا الى الالفة التى بها يكون الافراد الكثيرون بمثـابة اعضاء جسم واحد ، وكل فرد يستهدف ذلك الكمال فانه يستهدف هذه الالفة طبيعيا ، واساس هذه الالفة هى «المحبة» وقد برهنا على ان العدالة هى اعظم من جميع الفضائل الاجتماعية ، الا ان المحـبة هـنا هى اعظم منها وافضل ٠٠ والدليل على ذلك ان المحبة لو كانت موجودة بين جميع البشر لما ظلم بعضهم بعضـا مطلقـا ، ولما احتاجـوا الى شريعة عادلة تبطل الظلم وتمحق الظالمين » ٠

اننا نفهم من اقوال ابن العبرى هذه ان المحبة افضل من العدالة فى بناء المجتمع ، بل هى الركن الاساسى فى تقدّمه،لابل هى اساس لكل الفضائل ٠ لذا يقول « لو وجدت المحبة بين الافـراد لسـادت العدالة الاجتماعية بداهـة » ٠

فالمحبة فى رأيه هى التى تخلق الالفـة بين الناس ، وتنشـر العدالة ، وتزرع الرجاء والامل بدلا من ان تحصد الخوف والقلق ٠ وتكلمهم عن الله بدلا من ابليس ، وعن الملكوت بـدلا من الجحيم ، وعن النعمة بدلا من الخطيئة ، وعن الحرية بدلا من السلطة ، وعن جوع الفقير بدلا من مجاملة الغني ٠

انها اساس لكل خير فى العـالم ؛ فيها القـدرة على ان تـذيب الانانية الكامنة فى كل انسان ، وأن تحمله على الانفتـاح والتعاون ضمن علاقات مبنية على التضحية ونكران الذات ، لانها سر الخلاص مباركة ومسامحة ، بدلا من ان تراقب من يخطىء لتعاقبه ٠ المحبـة تعمل على تيسير حياة انسانية كريمة للجميع من خلال معرفة ومحبة

واحترام الانسان لاخيه الانسان فى اعماله وجهوده الفردية والاجتماعية • لذا يريد علامتنا من المؤمن ان يتحلى بالصفات الحميدة التى هى عنوان المحبة فيقول :

« كل من يهمه ان يحبه الناس ، يجب ان يجمل نفسه بصفات الابرار والصالحين ، ولايترك عمل الخير طمعا فى ارضاء الاشرار ، الذين اذا تواضع الانسان احتقروه ، وان كان ابيا قاوموه ، وان كان هادئا وديعا ابتلعوه ، واذا ساير البشر رموه بالزندقة ، لان الخير بذاته نعمة لايقدرها الاشرار • فاذا رغبت ايها الاخ ، ان تكون اخا أدب محبوبا تمسك بما علمه القديس افرام الملفان « مشية رزينة، صوت هادىء ، حديث عذب ، تعليم سليم ، نظرات طاهرة ، ابتسامة وادعة ، هندام بسيط ، سيرة متواضعة ، محبة كاملة ، قراءة الكتب ترتيل المزامير بفهم وعرفان ، محبة الغرباء ، نقاء الافكار ، تحمل الجوع لاهداف مقدسة ، تناول الطعام ببساطة تشبها بربك الذى قرك السنبل ، تحمل المشاق ، الجهاد الحسن بصبر وسرور ، والصلاة من اجل هداية الخصوم » ومتى ماعرفنا هذه الصفات وتجاوبنا معها تأصلت المحبة فى واقعنا الحياتى واصبح من الممكن تحويل حالة المجتمع نحو الافضل• اليست وصية يسوع هى « احبوا بعضكم بعضا كما انا احببتكم » •

لقد جعل يسوع مصالحتنا مع الله رهن محبتنا بعضنا لبعض• وجعل من هذه المحبة دليلا على محبتنا له وطريقا اليه ولهذه المحبة بحسب المفهوم الانجيلى جوانب متعددة ، وهاكم بعض الشواهد على ذلك •

١ ـ المبادرة بالسلام (متى ٥ : ٤٧) • ويقول ابن العبرى فى هذا المجال •

« كل مؤمن يصادف مؤمنا رفيقه واجبه ان يبادله التحية قبل اية كلمة ، ويذهب معه اذا دعاه واذا استشاره فليعط المشورة الصالحة » •

٢ ـ يكشف لنا الانجيل المقدس عن وجه الله،فاذا هو رحمة ومحبة، يفهم كل شىءويغفر كل شىء،وهذا جوهره الالهى،فمن صفاته، الغفران ، ولنا فى مثل الابن الضال اروع مثل لهذه الصفة •

ويقول ابن العبرى بهذا الخصوص : « تعلمنا الحكمة الالهية قائلة : اذا غفرتم للناس زلاتهم فابوكم السموى يغفر زلاتكم ·· ويقول بعض المفسرين ان الرب لما سأله بطرس : اذا اخطأ الى اخى الى كم مرة اغفر له ·· قالوا ان الرب قال ذلك لكى تجد عذرا لاخيك اذا اخطأ اليك اربعمئة وتسعين نوعا من الخطأ فتعتبره معذورا » ·

٣ ـ يدعونا يسوع الى التسامى عن نزوات النفس من غضب وتشف وحقد ، والى عدم الانسياق وراء شريعة « العين بالعين والسن بالسن » ومن هذا المنطلق علينا ان نفهم قوله « لاتقاوموا الشرير، بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الاخر » (متى ٥ : ٢٨) ويتطرق ابن العبرى الى هذا الموضوع فيقول : « اسباب الغضب هى العجرفة،الكبرياء، المهاترة ، المناهضة ، الجشع فى الاموال ، المجد الدنيوى · وتتم المعالجة باستقامة التفكير والعمل المجدى السريع · ويخمد الغضب ايضا بكلمات خاصة توجه الى مثير الغضب ، ويجب ان تكون لطيفة منعشة مزيلة للغيظ » ثم يقول « الحقد ينشأ من الغضب ومتى نما يولد منه بنون ثمانية وهى : ان يحسد الانسان من حقد عليه ، ويبغضه ، ويفرح لمصائبه ، ويغتابه ويسعى فى ضرره وازالة ربحه ، ويحتقره ، ويشمت به · ويعالج الحقد باخماد سورة الغضب ، واكرام الخصم ·

٤ ـ لقد قضى السيد المسيح على اسباب الانقسامات بين البشر وعلى كل اشكال التفرقة العنصرية ، فلا فرق بين اليهودى واليونانى، اذ ان الرب عينه هو للجميع (رومية ١٠:١٢) ، وقضى على اسس تقسيم المجتمع الى اسياد وعبيد (غلاطية ٣:٨) واعلن مساواة جميع البشر على اساس كونهم اخوة فيما بينهم وابناء لاب واحد هو الله ويؤكد ابن العبرى على ذلك موردا قول السيد المسيح « انظروا لاتحتقروا احد هؤلاء الصغار اقول لكم ان ملائكتهم فى السماء ينظرون وجه ابى الذى فى السماء » · لافرق لديه بين الذكر والانثى فى سبيل خلاص النفس ، لايوجد يهودى او وثنى ، لاختانة ولاغرلة ، لايونانى ولا بربرى ، لاعبد ولاحر ، بل المسيح الكل فى الكل ، فى اكمال الايمان والمحبة ·

نفهم من عرضنا هذا ، ان ابن العبرى يريد ان يقودنا نحو السعادة الحقة بتوجيهات أبوية جاءت بصيغة الارشاد والاوامر والنواهى • ولكنها فى الحقيقة دعوة لنجاح وتألق الهيئة الاجتماعية لان المحبة اذا لقيت فينا تجاوبا صادقا كنا حقا ابناء الله ، وسرنا بحسب رغبته وحققنا كل الاهداف التى وضعها الله لحياتنا •

اما أذا اصطدمت محبة الله والقريب فينا بالرفض • او اللامبالاة وفضلنا ذواتنا عليها وسرنا وراء مايرضينا ويشغلنا عن الله والقريب ، فان رفضنا هذا يغلق نفسنا عن الله وعن نعمته ويحقق فينا انفصالا اليما عن اهداف حياتنا الجوهرية ، فنعيش فى حالة من حب الذات والانانية التى تريد ان تمتلك ، وتسيطر ، وتبرز الى الواجهة على حساب الغير،الذات التى لاترىابعد منانفها•

ان علامتنا ابن العبرى يرفض هذا النوع من المحبة اى محبة الذات او الانانية لانها مكروهة ومنبوذة من قبل كل فرد من افراد الهيئة الاجتماعية المؤمنة برسالة المسيح • لذا فهو يقول : « من طلب كل الخير لنفسه وحده ، يفقد نفسه والخير الذى يتصوره معها ، لان من كان كذلك لايحب احدا ولايحبه احد ، بل يجلب لنفسه اعداء كثيرين يتربصون علىاذاه ، ويتحضرون للايقاع به وينتظرون سقوطه فمن كان محبا لنفسه وحدها ، ويريد الخير لها وحدها ، فانه يفقدها ويفقد كل خير معها » •

وهكذا نجد ابن العبرى رائدا فذا من رواد المحبة والقيم الروحية والاجتماعية • ولعل وصيته الاخيرة لتلاميذه تفصح عن مكنونات قلبه ، وهى قوله لهم « مادمتم ثابتين بالمحبة فانا اكون بينكم » ،

المصادر :

المجلة البطريركية الدمشقية •
الايشيقون •
محاضرات للدكتور جليل طاهر •
الحمامة •

اَضْوَاء عَلى مُؤلفاتْ
اِبنُ العِبرِيْ

الافودياقون رافع بني الطويل

ان مايلفت النظر فى فيلسوفنا العلامة ، ذكاؤه الوقاد،وقداسة سيرته ، وثبات ايمانه ، ورسوخ عقيدته ، وقوة شخصيته التى زينها بمحاسن الفضائل ، من وداعة وتواضع ومحبة وعفة ، هذه الفضائل الانجيلية الصامتة ، عاشها المفريان ابن العبرى حيث امتزجت بشخصيته العلمية الفذة ، التى اذهلت الباحثين وادهشت العارفين لجاذبيتها وسعة افاقها،فأحاطوه بمجالى الاكرام والاجلال حيثما وجد واينما ذكر • وقد كان لعلمه الغزير ومصنفاته المتنوعة التى تركها تراثا قيما للاجيال اثر بالغ فى كل ذلك • فهنيئا للكنيسة السريانية التى انجبت هذا الابن البار الخالد الذى جمع فى ذهنه شتى صنوف العلوم الدينية والانسانية حتى اعتبر بحق رجل علم ودين بارز ورائد اخلاق لامع •

ولعل سيرته التى ملأ عبير قداستها اجواء الكنيسة ، وانتشر عطر محاسنها فى كل زاوية من زواياها ، ومازال صداها يرن فى أرجائها من جهة ، وماخلفه من نتاج فكرى قيم من جهة اخرى ، وضعه موضع اعجاب من القريب والغريب ، حتى كان فى نظرهم دائرة معارف متكاملة •

لقد ترك تراثا فكريا غزيرا وغنيا جدا هو وليد عبقريته المتدفقة وموهبته الخلاقة المبدعة ، وذلك ضمن مجموعة ضخمة من المصنفات فى مختلف العلوم ، نشد فيها مجد الله وسعادة الانسان • وقد أدرجها العلامة الكبير البطريرك افرام الاول برصوم فى كتابه الفريد (اللؤلؤ المنثور) • ويسرنى ان أسلط بعض الاضواء على أبرز هذه المؤلفات •

فى اللاهوت والروحيات :

بحكم ايمانه ، وانطلاقا من روحانيته السامية ، وعقيدته النقية التى وهب لها حياته تعمق المفريان الجليل بعلم اللاهوت فوضع فيه المصنفات التالية :

١ ــ مخزن الاسرار : وهو مجلد كبير ضخم نفيس فسر فيه الكتاب المقدس بعهديه تفسيرا شاملا ضمنه جميع مدارس التفسير المعروفة يومذاك ، مستندا فى شرحه الى آراء العديد من ملافنة الكنيسة وقديسيها وعلمائها انجز تأليفه عام ١٢٧١م •

٢ ــ منارة الاقداس : وهو مجلد كبير ايضا استوفى فيه ابواب العلم اللاهوتى من الوجهتين الايجابية والسلبية بغاية التفصيل مدعما ببراهين عقلية وأدلة نقلية من كتاب الله العزيز وأئمة المسيحية الثقات •

٣ ــ كتاب الاشعة : وهو مختصر المنارة وابوابه عشرة ، وهى الخليقة التى ابدعها الله فى ستة ايام ، والعلم اللاهوتى ، وتجسد الله الكلمة ، والملائكة ، والارواح الشريرة ، والنفس ، والرسامات الكهنوتية ، والعماذ ، والميرون ، والقداس ، والسلطة الذاتية ، والاجل ، ونهاية العالمين الصغير والكبير وبدء العالم الجديد والفردوس •

الفلسفة والطبيعيات :

يعد ابن العبرى من اشهر الفلاسفة والحكماء • قال فيه البطريرك افرام برصوم فى كتابه اللؤلؤ المنثور « زانه الله سبحانه بعقل كبير وذكاء خارق وذهن متوقد وفكر دقيق ولسان ذليق ولفظ أنيق » وأبرز ماوضعه فى هذا الصدد : ١ ــ زبدة الحكم فى الفلسفة :

وهو من روائعه الخالدة التى صال فيها وجال فى هذا الميدان · وهو مجلدان ضخمان يتحدث الاول عن العلم المنطقي الفلسفى والثانى عن العلم الثانى من الطبيعيات · لى

٢ ـ كتاب تجارة الفوائد فى المنطق والفلسفة : يشتمل على خلاصة كتاب زبدة الحكم وضعه قبل سنة ١٢٧٦ ·

٣ ـ حديث الحكمة : وهو كتاب صغير فى المنطق والفلسفة ·

٤ ـ الاحداق : وهو كتيب فى نفس الموضوع ·

٥ ـ رسالتان فى النفس البشرية : صنفهما بالعربية ، احداهما مطولة والاخرى مقتضبة ·

٦ ـ الاشارات والتنبيهات فى المنطق والفلسفة وماوراء الطبيعة لابن سينا نقله من العربية الى السريانية وبدا فيه تعمقه فى اصول اللغتين وبراعته فى النقل ·

٧ ـ زبدة الاسرار فى الفلسفة لاثير الدين الابهرى : نقله الى السريانية ·

التشريع :

وضع فى هذا المضمار كتابه الشهير ، الهدايات فى الشرع الدينى والمدنى وهو الموضوع الذى اجاد فيه وابدع حتى اضحى هذا الكتاب النفيس (دستور الكنيسة) فى القضايا التشريعية · وهو يدلنا على ماكان للاساقفة من سعة السلطة فى الاحكام والقضايا المدنية بين رعاياهم ·· وقد انتزع هذا الكتاب الاعجاب ، واطراه علماء اوربيون ثقات ··

الاخلاق :

جعل قلمه يبدع اى ابداع بتأليف كتابه الرائع اللامع الذى دعاه « الايثيقون » · (فلسفة الاداب الخلقية) واستوعب اداب السلوك ، ووسائل تقويم الانسان وتهذيبه · ودعمه بشواهد من الكتاب المقدس ، وهو من اعظم مادبجه يراعه فجاء محكماً اية فى الجمال بل كتابا لانظير له بكل محتواه ·· يجد فيه الواعظ واللاهوتى حاجته ، والناسك خاصته ، والمؤمن الورع ضالته والمنشىء واللغوى مطلبه ·· ترجمه المطران بولس بهنام الى العربية عام ١٩٦٧ ·

النســك :

خصص لهذا المجال كتابه (الحمــامة) وضــعه لاجــل ترويض النساك٠ وأسماه' الحمامة رمزا للروح القدس٠٠ نقل الى العربية سنة ١٢٩٩ بعنوان كتاب الورقــاء فى عــلم الارتقــاء ٠٠ ترجمــه الى العربية قداسة البطريرك زكا الاول ونشر سنة ١٩٧٢ ٠

التاريخ :

عد ابن العبرى فى مصاف كبــار المؤرخــين الذين يشــار لهم بالبنان ٠٠ فهو المؤرخ النزيه الثقة المعروف بحكمته وعلمه٠ وتمكن بفضل غزارة مادته وطول باعه ان يضع عدة مصنفات تاريخية سالكاً طريقة التتابع الزمنى ، ساردا الحوادث ومستقصيا الحقائق ، فنال احترام المستشرقين فى هذا الميدان وابرز كتبه :

١ ــ التاريخ الكنسى : بمجلدين يشــتمل اولهمــا على تاريخ بطاركة انطاكية بدءا من القديس بطرس هامة الرسل أول بطريرك حتى سنة ١٢٨٥م والثانى يتضمن تاريخ جثالقة المشــرق ومفارنته من ايام القديس توما الرسول وختمه بترجــمة مســهبة لحياته الى سنة وفاته ٠

٢ ــ تاريخ الزمان من أول الخلقة حتى ســنة ١٢٨٥ ضــمنه تاريخ العالم والدول والعلماء اخذا عن تاريخى يعقــوب الرهــاوى وميخائيل الكبير وتواريخ سريانية وعربية وفارسية وقف عليها فى خزانة مــراغة ٠

٣ ــ تاريخ مختصر الدول : وهو تاريخ الزمان نقله بتصرف من السريانية الى العربية قبيل وفاته ٠ وانجزه بمدة شهر ٠

٤ ــ رسالة تاريخية فى اخبار العرب واصلهم وعوائدهم : وقد طبعت مع شروح فى جامعة اكسفورد عام ١٦٥٠ ٠

النحــــو :

اشتغل ابن العبرى فى علم اللغة مبدعا مجددا ٠ والف فى هذا الميدان الكتب التالية :

١ ـ كتاب الاضواء او اللمع : وهو خير كتاب فى النحو السريانى فيه شرح خواص اللهجتين الغربية والشرقية ، وقد قسمه الى اربعة ابواب فى الاسم والفعل والحرف والمشترك فاصبح دستورا للنحاة والطلبة ٠

٢ ـ الغراماطيق ويسمى المدخل الى معرفة النحو : وهو ارجوزة منظومة بالوزن السباعى مقفاة اجاد فيها كل الاجادة ٠

٣ ـ كتاب الشرارة : وهو فى النحو السريانى ايضا ٠

الفلك :

فى هذا العلم كما فى غيره علا كعبه وطال باعه فألف ٠

١ ـ كتاب الصعود العقلي فى شكل الرقيع والارض : سرد فيه العلوم الفلكية باسلوب علمى وجمله برسوم واشكال هندسية،ويعتبر من الكتب المهمة جدا ٠

٢ ـ تفسير كتاب اقليدس فى المساحة ٠

٣ ـ شرح كتاب بطليموس فى النجوم وحركات الافلاك ٠

٤ ـ كتاب الزيج الكبير فى معرفة حركات الكواكب التى بموجبها يتم تنظيم التقويم وتعيين الاعياد غير الثابتة ٠

الطب :

لقد برع فى الطب مبكرا ، وبحكم مهارته الطبية حقق منزلة سامية ومكانة مرموقة لدى الكنيسة والدولة : ٠٠ وله فى مجال الطب عدة مؤلفات بعضها مفقود ٠ اما الموجودة منها فهى :

١ ـ مختارات ديوسقوريدس اليونانى فى المفردات وقوتها واتقانها ٠

٢ ـ كتاب كبير جمع فيه كل الاراء الطبية ٠

٣ ـ القانون للشيخ الرئيس ابن سينا نقل منه الى السريانية اربعة كراريس فحالت المنية دون اتمامه ٠

٤ ـ منتخب كتاب جامع المفردات اى الادوية المفردة بالعربية ٠

٥ ـ منافع اعضاء الجسد بالعربية جمع فيه بتفصيل اراء الاطباء بأسرها فى المواد الطبية ٠

٦ ـ شرح فصول ابقراط بالعربية ٠

٧ ـ تحرير مسائل حنين بن اسحق الطبيب بالعربية ٠

الشعر :

له ديوان يحتوى على ثلاثين قصيدة ومقطوعات تزيد على المئة ابرزها فى الوصف والحكم والاخوانيات والمديح والرثاء والهجاء ، ومعظمها على البحر الاثنى عشرى ، واسلوبه سلس طلي وكأن القافية تستسلم راضخة تحت انامله ٠ وقد اثر فكره الفلسفى فى شعره وخاصة فى فلسفة النفس حيث عالج الادواء التى تصيبها ٠ ويمتاز شعره بالعبارة المحبوكة والكلمات المناسبة ٠ أضف الى هذه الثروة العلمية الزاخرة ، كتبا ورسائل عديدة وخطباً بليغة وليتورجية جميلة ، ومقالات متنوعة ورسائل ، وحسابات لعدة مناسبات ومن هذه الكتب كتاب « الطرائف » جمع فيه اكثر من ٧٠٠ قول مأثور وحكمة ونادرة فى الاغنياء والبخلاء وأرباب الحرف ، وحكايات على السنة الحيوانات وكتاب تفسير الاحلام ٠

هذا عرض سريع لما قدمه ابن العبرى للانسانية من عصارة فكره وخلاصة جهده فكان بذلك رجل علم وقداسة وسيبقى خالدا خلود التاريخ ٠

المصادر

اللؤلؤ المنثور فى العلوم والاداب السريانية ٠

المجلة البطريركية ـ دمشق سنة ١٩٨٠

مجلة الحكمة ٠ السنة الاولى ٠

خَواطِرُ في ابنِ العِبَري

ـ صلاح عزيز منونة

في كل جيل يختار الرب من يسير على دربـك
وكنت يا أبا الفرج انت المختـار في جيلك

× × ×

اتخذ من المغارة قصرا ، حيث يلتقى القديسون والاصفياء
فازدان باروع الالقاب ، بحر حكمة ، واكليل مفارنة ، وتاج رؤسـاء
وزهد في الدنيا حتى ابسط لذاتها ، تبلغا بالخبز حد الاكتفاء

ترك الناس يهيمون في دنياهم .. موتى يدفنون مـوتاهم
عزف عـن العـالم الارضـي .. وصولا الى السـماوى
طلـب الحـي السـرمدى .. ففاز بخلود ابدى

× × ×

ان كلّ القراءة رتـل ..
وان كلّ الترتيل ، صلى ..
وان اكمل الصلاة الى الانشاد آب
وعاد يطوى الليل يعانق الكتاب

× × ×

طلب العلم فى كل مكان بهمة لاتكل ابدا
وسعى وراء الحكمة وجال بلدا بلدا .. كنحلة تجمع من الزهر شهدا
ارتقى سلم الكهنوت .. وعاش ناسكا متعبدا
غاص الى اعماق الاسرار الخفية
فنال منها مالم يحظ به البقية

× × ×

فيا ايها الساعي نحو الكمال
لاتبخلن علي بمطلب أو سوال ..
بل مدّ لى خيوطا اقتفى بها اثرك
فأشاركك افراحك الروحية
ونغدو كلانا آمنين تحت ظلال الالوهية .

× × ×

فلنتأمل اخوتى ، خصال رجل الله البار ..
وداعة قلبه ، لتكتنزها قلوبنا
صومعته ، لتكون قصورا لنا
صلاته ، لنتخذها مثالا لصلاتنا
قوته ، لنقتنع بنعمة رزقنا
نسكه ، لننزع حب العالم من نفوسنا
بساطة روحه ، لتقدى بها ارواحنا

× × ×

اليوم جئنا نخلدك ...
ياعلما خفاقا من أعلام الامة
ومشعلا ينير الدرب فى الظلمة
تركت لنا من المؤلفات لؤلؤا منثوراً ..
كانت لنا هديا ونورا .
وشعرا وعلما وحكمة وسلوى
وايمانا يوحي فى ذكره ..
نسكا وطيبا وصبرا وتقوى .

× × ×

فنم قرير العين سيدى
فمثلك يسمو فيعانق الشهب
رباه ضمنى الى حظيرته ..
تلميذا صغيرا يسلك الدرب .

العَلاَمَة ابن العِبَرِيّ

سنحريب ستراك

فى ثنايا آلفاف مرقاة بدت فوقها الانوار فى كهف زهت
ناغمت عطر العلوم واعتلت نجد أمجاد تلاد ما آنثنت
عبر اجيال طوال ماهفت لاولا كلت عطاء بل سعت
اعتلاها عالم منه آصطفت خير شهد فاغتذته وانحنت
انه الملفان عبرى دنت قربه الاعلام تترى فأختفت
فى حياء كالعذارى سكنت حيث تصغي بأندهال فاستحت
فى رحاب النظم اشعار شذت فى بيان الفقه احكام وفت
فى شهاب الطب جل وآلتفت لربوع العلم افنان علت
قس بروح النسك نفسا قد رأت راية الايمان والدين اشتهت
فاستوى شرحا ونقلا فانتشت منه نساك البرايا وآقتفت
اثر شمس فى ربوع قد سنت تلهج العطشى لامواه روت
كل نفس من سجاياه نمت فهو كنز من علوم قد حوت
كل قاص كل دان دوّنت علم لاهوت وتاريخ هوت

بيعة السريان جلت وارتقت في ذرى الاكوان فخرا فازدهت
قادها حبر همام ماسكت ثغره الدري وعظاً ما آنبكت
لاولم تهدأ يراع حبرت من صنوف العلم والدين اجتنت
تشرح التنزيل هديا فانبرت طوع افكار تسامت واعتلت
وآنظروا في صومع قد عانقت عالما اثرت بزهد وانجلت
سدّة المشرق التي قد جاهدت ترمق الجوزاء اذ فيها احتفت
ذا مفريان علاها فابتهت تسبق الازمان بالصيد آغتنت

ابن العبري والكتاب المقدس

ـ هلال يعقوب بابا اللوس

الكتاب المقدس « قوة الله للخلاص لكل من يؤمن به اعلن بر من الله للبشر » ، واعطى طريقا للخلاص وسبيلا للابداع فى مختلف مناحي الحياة وعلاجا شافيا لصنوف الأدواء الروحية وينبوعا ثـرا يطفىء الظمأ ، وتنساب منه جداول مياه الحياة ، وموردا صافيا عذبا استقى ويستقى منه الاقدمون والمحـدثون • فهو ملـهمهم فى كل ماكتبـوا وابدعت قرائحهم وماتركوا لنا من تراث قيم ثـمين كـان ومايزال وسيكون مفخرة الاجيال السابقة واللاحقة • وبناء على هذا المفهوم للكتاب المقدس اولت المسيحية عامة والكنيسة السريانية الارثودكسية خاصة اهتماما بالغا بكتاب اللـه المقـدس فأشـبعته درسـاً وتحليلا وتفسيرا ، كما بذلت جهوداً مكثفة فى نشره عبر اجيالها وايصـال كلمته الى كثير من الاقطار • وقد ترجم الى اللغة العـربية وبعـض اللغات الاخرى وتم ذلك على يد علمائها الافـذاذ من العرب من بني طي وتنوخ وعقيل الذين نفذوا ترجمته بامر البطـريرك يوحـنا المعروف بابى السدرات فى منتصف القرن السابع وذلك استجابة الى رغبة عمر بن سعد بن ابى وقاص امير الجزيرة • وقد تضلع العديد من علماء السريان ولاهوتييهم من الكتاب المقدس ففسروه ووضعوا فيه مجلدات ضخمة اغنت المئات من خزائن الكتب ، كما شـحنوا منه مؤلفاتهم الروحية واللاهوتية : كمـار أفـرام السـريانى ويعقوب

السروجى وابن صليبى وغيرهم · وان علامتنا ابن العبرى هو احد هؤلاء الافذاذ الذين صرفوا اقصى الجهود فى علم الكتاب الالهى ·

فقد فسر العهدين القديم والجديد فى مجلد ضخم اسماه (مخزن الاسرار) تفسيرا لغويا ولفظيا ورمزيا معتمداً اهم الترجمات للكتاب المقدس ومستشهدا بتفاسير العديد من الآباء · قال عنه الكاتب الاميركى سبرنكلن « ان ابن العبرى اكبر كاتب فى تاريخ الادب السريانى فضلا عن كونه اعلم رجال عصره ، وقد سخر لكتاب الله العزيز علمه باسره فى كتابه (مخزن الاسرار) وان كل لاهوتى ومؤرخ وباحث فى علم الانسان وفى النفس يجد ذخرا لابحاثه فى هذا المصنف الجامع »(١) ·

والى جانب هذا فان سائر كتبه الاخرى الروحية تقوم دليلا على طول باعه فى دراسة ومتابعة الكتاب المقدس ، لكون الكتاب المقدس هو القاعدة الاساسية لها وهى مفعمة باستشهادات منه · وفى مقدمة كتبه بهذا الصدد ، كتابه النفيس الموسوم (بالحمامة) ، وتدور مضامينه حول الحياة الروحية والسعى نحو الكمال المسيحى · فهو كتاب روحى تصوفى ينير الدرب امام من يبغى الوصول الى الكمال الذى يدعو اليه السيد المسيح « كونوا كاملين كما ان اباكم الذى فى السموات كامل » · ولما كان الكتاب المقدس هو خير وسيلة يمكن بها ان يتلمس الانسان طريقه نحو الكمال والاتحاد بالله ، فان علامتنا ابن العبرى يستند اليه ويدعم به آراءه وافكاره · ومن اجل السير فى هذا الطريق لابد من التهيؤ ، وهذا يتم عن طريق التوبة التى هى الخطوة الاولى للسير فى طريق القداسة والكمال ، وهو يطمئن الانسان التائب الى ان الله يقبل توبته،مستشهدا باهل نينوى وتوبة بطرس الرسول ، اذا ما اقترنت بالاعتراف بالخطايا وبتنهدات شجية كما كان يفعل اولئك الذين كانوا يأتون الى يوحنا المعمدان ليعتمدوا منه اذ كانوا يعترفون بخطاياهم كما جاء فى انجيل متي ، وكما كان يفعل اولئك الذين كانوا يؤمنون على أيدى الرسل حيث كانوا يقرون بخطاياهم كما جاء فى سفر اعمال الرسل · ولكى يؤكد على اهمية التوبة فى حياة المؤمن ، يستشهد بقول يعقوب الرسول : « اعترفوا

---

(١) اللؤلؤ المنثور ـ طبعة ٣ص ٤١٥

بعضكم لبعض بالزلات » وكذلك قول يوحنا الرسول « ان اعترفنا بخطايانا فهو امين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا » ٠

والخطوة الاخرى للسير فى طريق الكمال هى الصبر ، وهو ذات اهمية فائقة فى احتمال الشدة والضيق من اجل الوصول الى الغاية المنشودة ، لان الطريق صعب لكونه طريق كفاح روحى ضد الشهوة والخطيئة ، وعلى الانسان ان يواصل هذا الكفاح دون ملل او كلل٠ ويدعم قوله بكلمة الرب القائلة « الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص » ٠ ولابد للانسان الذى يتوخى الكمال ان يتحلى بسيرة فاضلة بارة وان لايحيد عن الهدف الذى ينشده يمنة او يسرة فابن العبرى يخاطب مثل هذا الانسان بلسان احد الشيوخ محذرا اياه من الخيار الخاطىء كخيار امرأة لوط التى التفتت الى الوراء فصارت عمود ملح ٠ ويعزز رأيه هذا بقول السيد المسيح « ليس احد يضع يده على المحراث وينظر الى الوراء يصلح لملكوت الله » ٠

ولكى يستطيع المرء اذن ان يواصل مسيرته نحو الكمال بهدوء وبنجاح ويصل الى غايته بطمأنينة وسلام ، كان لابد من تطهير ذاته من كل انواع الشوائب ٠ ذلك ان النفس البشرية لاتستطيع أن تهتدى بنور المسيح ان لم تتطهر من الخطايا اولا ، فتعالج ماكان عالقا بها من الزلات والخطايا٠ وهنا يسرد العديد من الخطايا التى من شأنها ان تشكل حجر عثرة فى طريق الكمال المسيحى ، والتى لابد من معالجتها بشكل موضوعى وعلى ضوء الكتاب المقدس لكى يتمهد الطريق امام السائر فيه ٠ وهو يعالج الخطايا برقة ولين فيعالج الكلام الذى من شأنه اثارة الفتن والمشاجرة والخصام بين طرفين بقول المسيح « من اراد ان يخاصمك وياخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا » ويعالج اللعنة بقول الرسول بولس « باركوا ولاتلعنوا » ومن الخطايا التى يعالجها بآيات الكتاب ، خطيئة الشتم أو الاهانة فيعالجها بالآية « من قال لاخيه رقا يكون مستوجب المجمع ومن قال يا احمق يكون مستوجب نار جهنم » وبالنسبة للكذب والتملق : يقول الكتاب المقدس « الرب يقطع الشفاه الملقة » ٠

هكذا يجد ابن العبرى ان العلاج الشافى لجميع ادواء الخطيئة هو الكتاب المقدس الذى يضع امام الانسان بكل وضوح النتائج الوخيمة للسلوك غير السليم والثمار الطيبة للمسلك القويم ٠

واننا لنجد اثر الكتاب العزيز حتى فى اشعار ابن العبرى وقصائده وبصورة خاصة فى ملحمته الكبرى الموسومة بالحكمة الالهية ٠

وخلاصة القول ، ان الكتاب المقدس كان جزءا لايتجزأ من حياة ابن العبرى ، اتخذه نبراسا فى كتاباته ومؤلفاته عملا بقول المرتل « كلامك سراج لرجلي ونور لسبيلي » وكان له الحجة الاقوى والافضل فى دعم آرائه وفلسفته وابداعه فىمضمار العلم والمعرفة٠

ندوة

أبرشية بغداد والبصرة

٢٥-٢٧ تموز ١٩٨٦

كَلِمَة الافتتاح

ـ نيافة المطران سويريوس حاوا

نجتمع اليوم لتخليد ذكرى عظيم من عظمـــاء كنيستنا المقدسة، واحياء مجد مجاهد كبير من مجاهدينا ، وتكريم حـــبر جليل ورائد من رواد الزهد والقداسة والفضيلة والعلم ، وتبجيـــل قطـــب من اقطاب الدين والاداب والتاريخ العظام الذين نهضوا بامتهم ورفعوا قدرها وزينوا جيدها بقلائد نفيسة من التبر والنور وجواهر العلم والعرفان ، لنستمد من عظمـــة الـــذكرى دروســـا خالدات وعبـــرا صالحات ٠

اجل ، اجتمعنا لنحيي ذكرى العلامة القديس مارغريغوريوس ابن العبرى الذى قرر المجمع المقدس الاحتفال بذكراه المئوية السابعة فى كافة ابرشياتنا السريانية ٠

ايها المؤمنون : ان غياب ابن العبـــرى بالجســـد قبل سبعمائة سنة ، لم يستطع ان يطفىء شعلته الوضاءة التى أنارت هذا الشرق بالعلم والحكمة والمعرفة ٠ نعم قد توارى لكنه بقى حيا خالدا بالعلم والمعرفـــة ٠

فهذه مكتبات الشرق والغرب مليئة بغزير مصنفاته وجليل آثاره القلمية التى تركها ذخرا لنتمتع بدسامتها ونهتدى بنورها ٠

فاذا كانت الشعوب المتحضرة والمتمدنة تقيم الذكريات العطرة لمجاهديها ، وتنصب التماثيل لابطالها وتمنح الاوســـمة لشجعانها ،

فكم بالاحرى يتوجب على ابناء الكنيسة ان يكرموا رؤساءهم الذين كلموهم بكلمة الحق ، ويجلوا اباءهم الذين جاهدوا فى سبيل الحفاظ على جوهرة الايمان ، ويستشفعوا بقديسيهم الذين بذلوا الغالى والرخيص من اجل خلاص نفوسهم ، كما يوصي الرسول بولس قائلا « اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله ، انظروا الى نهاية سيرتهم ، فتمثلوا بايمانهم » (عب ١٣ : ٧)

من هنا يحدونا الواجب ان نقوم بهذا الاحتفال الروحى ، لان الآباء القديسين الذين ينتقلون من هذا العالم الفاني الى العالم الباقى هم احياء بفضلهم وفضيلتهم وحكمتهم ومعرفتهم وعلمهم وجهادهم الحسن ، احياء بتراثهم الذى خلفوه فى القلوب وتركوه فى ضمائر المؤمنين ، وسجلوه فى سجل المنتصرين ، واحياء بأنفسهم الخالدة » لان الصالحة منها تنتقل الى الفردوس مترقبة يوم المعاد والثواب وهى تشعر بكل ما نصنعه لها ، ونحن نشعر بوجودها بيننا حيث تظهر احيانا بمظاهر شتى للمؤمنين المتشفعين بها ، كما ظهر طيف السيدة العذراء فى هذه الايام فى كنيستنا فى برطلة والتى رأيناها بأم اعيننا ، تظهر بشكل وميض من نور مبهر شديد التوهج وتخرج من الوميض صورة العذراء مريم باشكال مختلفة ٠

ايها الحفل الكريم : قلائل هم العظماء الذين يأتون الى هذه الارض ويرحلون عنها حاملين بين طيات حياتهم جلائل الاعمال ، وثروة ضخمة من الفضائل التى لاتوصف باللسان ولاتسطر بالقلم من هؤلاء القلائل علامتنا ابن العبرى الذى سجل له سفرا خالدا ، كتبه فى حياته وختمه عند مماته ، ويظهر بوضوح فى أعماله الجبارة ، وكنوزه العلمية الثرّة التى تركها للاجيال ٠

ولا اريد ان اطيل الكلام عليكم،لافسح المجال لابنائنا الروحيين من بعض الاساتذة ليتكلموا عن علامتنا الكبير ابن العبرى باسهاب طالبا منكم الاصغاء اليهم وشكرا ٠

الفلسفة والاخلاق والدين عند ابن العبري

د . متي ناصر مقادسي
كلية العلوم ـ جامعة بغداد

ابن العبرى ، امير الكنيسة . من اوسع المؤلفين مادة واكثرهم شمولا . لم يبق اى مجال من مجالات المعرفة العلمية والدينية دون ان يطرقها من اوسع ابوابها ، ليصبح رائدا بالرغم من انه عاش فى اصعب ظروف الحياة غير المستقرة .

لقد ترك ابن العبرى اكثر من (٣٦) مؤلفا فى جميع المواضيع العلمية والفلسفية واللاهوت والتاريخ وغيرها . ومن اهم كتبه ذكرا فى مصادر المؤلفين فى التاريخ والعلوم الطبيعية والطب ، كتاب « مختصر تاريخ الدول » الذى وضعه اصلا فى السريانية وجمع فيه التاريخ البشرى من عهد ادم الى عهد المؤلف ، والكتاب موجز التعبير، ويذكر الحوادث بايجاز ويخص منطقة الشرق والشرق السريانى وقد طلب معاصروه من العلماء العرب تعريبه فاعاد تأليفه باللغة العربية واضاف اليه فصولا تتعلق بدولتى الاسلام والمغول وتراجم العلماء والاطباء . وسوف اتناول بعض افكار ابن العبرى الفلسفية والخلقية والاجتماعية والعلمية وارتباطها بالايمان وبالخالق ، تاركا كثيرا من الافكار الدينية والاساسية فى حياته التى هى الايمان

المطلق والفلسفة الصوفية التى كرس ابـن العبرى كل حيـاته لها ، وهذه الافكار درست ونوقشت مناقشة ممتازة فى المقدمتين المطولتين لكتابى الايثيقون(١) والحمامة(٢) ٠

الفلسفة والـدين :

درس ابن العبرى الفلسفة اليونانية القديمة ماقبل ارسـطو ، وأرسطو وما بعده وتأثر ايضا بالفلاسفة العـرب مثل ابن سينا(٣) والغزالى(٤) ، واذا أخذنا بنظر الاعتبـار دراسـته للكتـاب المقدس وتفاسيره من جهة ، والحياة المضطهدة والقلقة الصـعبة التى عاشها فى ريعان صباه من جهة اخرى ، لانتعجب ان رأيناه يتنسك ويترهب وهو فى عمر سبع عشرة سنة ويتخذ من الفلسفة الصـوفية هـداية وطريقا له يوصله الى الرب ٠

ولاعجب فان حياة المسيح وتعاليمه الالهية كانت البذرة الاولى لفلسفة التصوف (لاتكنزوا لكم كنـوزا على الارض حيث يفسـد السوس والصدأ ، وحيث ينقب السارقون ويسـرقون ، بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء ، حيث لايفسد سوس ولاصدأ وحيث لاينقب السارقون ولايسـرقون ٠٠٠ لاتهتموا لحيـاتكم بما تأكلـون وبما تشربون ولا لاجسامكم بما تلبسون ، اليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس ؟ (متى ٦:١٩:٣٩) كذلك فى قول يسوع « الجمل يدخل خـرم ابرة ولايدخل الغنى ملكوت السـماوات » ان الغنى هنا قد لايعنى المادة فحسب ، ولكن يعنى النفس ايضا ٠ ولهذا نرى ابن العبرى يترك امور الدنيا المادية وينـحو منحى فيثاغورس (٤٧٩ ق٠م)(٥) ويقرر أن تطهـير النفس البشـرية يتـم بالعلم والفلسفة والتأمل والنزوع الى الحكمة وصولا الى الحقيقة المجردة ٠

وان الاتحاد مع الرب روحيا يبدو فى فـكر ابن العبرى ممكنا وهو بالابتعاد عن المعصية والخطيئة ٠

ان ابن العبرى لاينـظر الى الاتحـاد مع الرب بالسـهولة التى يتصورها كثير من الناس المؤمنين ٠

ان فكرة ابن العبرى عن التصوف عميقة وجدلية فهو يقول :

« ان الانسان الكامل هو الزاهد والعابد فى آن واحـد ٠ أمـا الزاهد فليس كاملا ، وكذلك العابد ، وهناك فـرق بينهما وليس

لكليهما طريق واحد[1] (الناسك ليس كاملا لانه يظن بأنه يشترى نعيم الدنيا بنعيم الاخرة ، أن يعرض عن طيبات الدنيا الزائلة فى سبيل الطيبات الباقيات فى الاخرة ، وبهذا يكون الناسك صوفياً وتاجرا يستبدل طيبات بطيبات أكثر منها عمرا ٠) أما الكامل فيعتبر الشهوات الجسدية الفانية لذة للجسد ولكنها تجعل العقل مظلما وتفقده الرؤية الصحيحة ، ولهذا فالتعبد ليس كافيا لانه ينتظر له بديل ، ولكن الكامل يزيد نورا على نوره وطهرا على طهره وهذه المقارنة تصح حتى على الناس الاعتياديين اليوم ، فبعض الناس يقومون بالواجب وينتظرون الثمن والبعض الاخر يقوم بالواجب بأخلاص لان القيام بالواجب هو من طبعه واخلاقه ٠

لقد وضع ابن العبرى كتاب الحمامة[2] (مختصر فى تدريب النساك) وهو من أروع ماصدر فى فلسفة التصوف ٠

والطيب الذكر المطران العالم الجليل بولس بهنام[1] يعزى فلسفة التصوف عند ابن سينا والغزالى وابن العبرى الى الكتاب النفيس بهذا الصدد (الاثر المنحول لايرثاوس) وبالفعل فان ابن العبرى ترجم وحقق هذا (الابيرثاوس) ونرى تأثير افكاره فى جميع كتابات ابن العبرى الفلسفية ٠ ويعتبر يرثاوس الكاملين (العارفين) درجات وموقعهم عند الرب بمنازل على أساس قول الرب (فى بيت أبى منازل كثيرة) ٠ ويجهد ابن العبرى نفسه وبعمق وتفضيل لشرح درجات المعرفة والاعمال الى ان يصل الحدود المثالية فيقول (لمدة اربعين سنة وأنا أتنقل فى البر والبحر ونادرا مارأيت كاملا) فما هو هذا الكمال و لِمَ لانستطيع ادراكه ؟!٠

يعتقد ابن العبرى ان الفلسفة توصل الانسان الى المعرفة والمعرفة توصله الى الكمال وبدون الكمال لايكون الانسان انسانا حقيقيا ٠ أن كمال المعرفة تمثل كمالا للعقل ، ولهذا فأن ارقى درجات اللذة العقلية هى الاحساس بالكمال ٠ ان منحى ابن العبرى هذا نجده فى العصور المتأخرة عند ديكارت وغيره من الفلاسفة[6] بتعبير (لذة الضمير شهادة الشعور الداخلى ، بحصولنا على شىء من الكمال) ، بينما الشر يبعد العقل عن اللذة ويضعه فى متاهات الظلام ٠

المعرفة تقسم الى قسمين :ـ

(١) المعرفة الحسية : تكون بواسطة الحواس ٠

(٢) المعرفة العقلية : يكون أساسها العقل ٠

الفلاسفة اليونانيون ينكرون المعرفة الحسية(٦)على أساس أنها وهم وظن وهناك شك بمعرفتها ٠ يقول الفيلسوف اليونانى برمنيدس (لسان المشرق بولس بهنام)(٧) ان المعرفة الظنية هى المعرفة الشعبية ولاتقوم على حقيقة ولكنها مجرد تصورات بسيطة ٠ والوجود الحقيقى لاتدركه الحواس بتفاصيله الصحيحة واذا وجدت حقيقة فانها تصبح تبعا للحواس خيالا ووهما ٠ ولكن العقل يستطيع ان يصور لنا الوجود الحقيقى لانه يتناول كائنات أكثر شمولا ووسعا من الحواس ٠ أما هيرقليطس فيعتبر أيضا المعرفة الحسية وهما لايؤدى الى حقيقة راهنة وان المعرفة الحقيقية هى المعرفة العقلية وهى التى تقودنا ـ فقط ـ الى معرفة الوجود ٠

مما تقدم نرى ان الفلسفة اليونانية القديمة تنكر المعرفة الحسية وتأثيرها على المعرفة العقلية ٠

فى الحقيقة أن المعرفة الحسية تتعامل مع الاجسام وكل موجود محسوس، وهى معرفة حقيقية يتناولها العقل بالتحليل والاستنباط ولها تأثير حقيقى راهن فى مجالات المعرفة مثل الطب والعلوم الطبيعية والكيميائية وغيرها ٠ وبالرغم من ان المعرفة العقلية هى اسمى من هذا الوجود ، فأن انكار حقيقية المعرفة الحسية وعلاقتها بالمعرفة العقلية فيه كثير من البساطة والخطأ ٠

ان المعرفة الحسية معرفة حقيقية راهنة وهى فى نظر فيلسوفنا ابن العبرى واجبة وضرورية فى الحياة وهى تقودنا الى المعرفة العقلية الكاملة عندما نعجز عن تصور العلة الاساسية للوجود ٠ يقول ابن العبرى : لاينكر ان الحواس تخطأ فى التقدير فمثلا ، حاسة البصر ترينا النجوم أصغر من الشمس(٨) ولكن الحسابات تظهر ان النجوم أكبر من الشمس ، وكذلك فأن العين ترى الظل ساكنا ، بينما هو متحرك (الغزالى)(٩) ٠ ولهذا فأن حل التناقض بين ادراك الاحساس وادراك العقل يوصلنا الى الحقيقة الكاملة ولان ادراك الحقائق الالهية والمادية هى غاية المعرفة ، ويبدو لى أنه فى زمن ابن

العبرى ، حيث المفاهيم العلمية تطورت ـ وهذا كلام نسبى ـ أصبح من غير الممكن ادراك الحقائق الالهية لوحدها فى تفكير عقلى لايؤمن بالمحسوس وحساباته فى عالم متطور علمياً ولهذا رأينـا الفرق بين فلسفة ابن العبرى والفلاسفة اليونانيين ماقبل(٢٠) قرناً من الزمن، ولهذا يبدأ ابن العبرى وهو المعلم المتمـرس بتنمية الادراك العقلى عند الانسان منذ الطفولة ويعلمه جملا علمية فلسفية ومنطقية مثل:

ـــ لايمكن أن يكون جسم كأن لايكون ٠

ـــ لايمكن أن يكون الجسم فى موضعين فى وقت واحد ٠

والحقائق البديهيـة مثـل :

ـــ الكـل أكبر من الجـزء ٠

ـــ كل انسان حيوان ، وبعض الحيوان انسان ، معنى هذا ليس كل حيوان انساناً ٠

ـــ ان الجسم لايكون منذ خلقته كاملا ، بل ينمو بالغذاء وهكذا النفس تسمو الى الكمال بواسطة العلم ، وكما ان مرض الجسم يزول بأضداده هكذا العادات الرديئة تزول بأضدادها ٠

وقبل أن اختتم هذه الفقرة ، لابد من اسـتنتاج المقولة التالية مع ابن العبرى :

المعرفة درجات متنوعة وتعتمد على طبيعة النفس ، والجسد هو مطية النفس ، والنفس هى كنز المعـرفة ٠ فالفلسفة والحكمـة مع تهذيب القوى الجسدية لكى تصل بالنفس الى غايتها ، الحب الالهى

الاخـلاق والديـن :

يعلمنا أبن العبرى الاخلاق على الطريقة الصوفية التى غايتها التقرب من الرب والاتحاد به ويكثر من التعليمات فى كيفية الصلاة واتباع وصايا الاباء دون جدل فى كتاب (الايثيقون)(١) ويكثر ابن العبرى من اقوال القديسيين والاتقياء السابقين فى الزهد والتقشف والتقوى والاعمال الصالحة،وسنتناول فى كلامنا هذا مانراه مناسباً ومفيدا وحيث أن تعاليم الصوم والصلاة معروفة للجميع فسـنترك الكلام فيهـا ٠

مما لاشك فيه ان الانسان نفس وجسد ٠ وللنفس أمراض كما للجسد أمراض ٠ ان امراض الجسم العادية سريعة الشفاء ، وكذلك

يجب أن تكون الامراض النفسية حيث أنها تشفى بالتوجيه الى الاعمال والعادات الطيبة وهى أقرب الى طبيعة الانسان • وكلما اهتم الانسان بالعلم والمثابرة حسنت أخلاقه وسمت نفسه ، بينما الجهل يؤدى الى العادات الرذيلة • فالانسان يكتسب العادات التى تعكس الاخلاق من المجتمع والدراسة ، يعرف ابن العبرى العادة « بأنها ملكة نفسية تدفع الانسان للقيام بالعمل بسهولة دون بحث أو تفكير(٧) وبما أن العادة هى عمل ، فبعض العادات صالحة وبعض العادات شريرة • كما أن شحوب الوجه يدل على مرض الجسد • وقوة المرض تؤدى الى الموت وهو انفصال النفس عن الجسد فان العادات الشريرة هى دليل المرض النفسى وعند اشتدادها يؤدى الى انفصال الانسان عن الله • ويستطرد ابن العبرى ويقول : يجب على الانسان أن يعالج نفسه دائما اذا كان محبا للحياة الحقيقية وحتى يشعر بلذتها •

صحة النفس وأمراضها :

(١) صحة التفكير •
(٢) كبح الغضب •
(٣) كبح الشهوة •
(٤) كبح هذه القوى الثلاث •

(١) صحة التفكير :

اعتدال التفكير ويدعى حكمة وهى استطاعة الانسان أن يميز بين الحق والكذب وبين الخير والشر بسهولة •

(٢) كبح الغضب :

ويسمى شجاعة وهى استخدام العقل عند اللزوم فقط ويكون الانسان مقداما شجاعا ويقدم حتى على الموت اذا دعت الضرورة ويعرف اوغريس الكبير الشجاعة بانها التغلب على الاهواء •

(٣) كبح الشهوة :

وتدعى عفة الاعتدال وضده الافراط والتفريط او الجشع وهو حب جمع الكماليات أكثر من الحاجة الطبيعية والتفريط

هو عدم القدرة فى طلب الحاجة الطبيعية ، وهكذا يدعى الانسان مريضا جاهلا ٠

(٤) كبـــح هذه القوى الثلاث ٠

أما مرض كبح الغضب فهو جموح الغضب فيسمى جسارة وهو غضب الانسان دون سبب موجب أو غير مفيد ٠ والمرض الناتج عن عدم الغضب يسمى جبنا ٠ وهو أن يخاف الانســان حيــث لايوجد ســبب ٠

ويحذر ، حيث لايجب الحذر ، وضد كبح الشــهوة هو جموح الشهوة وهو الانغماس فى طلــب الشهوات الرديئة التى تزيــد عن ضرورات الجسد ، بل لمجرد المغالاة فى الشهوة ، والمرض الناتج عن عدم الشهوة يدعى خمودا وهو عدم اشتياق الانسان حتى الى الشهوات الضرورية والطبيعية ٠ والمرض الناتج عن مجموع هذه الامــراض يسمى هيجانا وهو عدم مقدرة النفس على الاعتدال ٠

يدافع ابن العبرى وهو الذى عالج الحياة فى جميع تفاصــيلها ضد من يقول بعدم تغير العادات فيقول ان العادات تتغير فى البهائم مثل الفرس والكلب والدب والقرد ، فكيف لاتتغير فى الانســان ذى النفس العاقلة الناطقة ، واذا كان استئصال بعض العادات الطبيعية محالا فان الاهتمام البشرى يستطيع أن يهذبها بالتمرين والترويض ويحد من جموحها مثل قوى الغضب والشهوة ٠ ويعترف ابن العبرى هنا بالصعوبة الكبيرة فى معالجة العادات وترويضــها ولكنه لاييأس ويضع الحلول لها ٠ ويقسم ابن العبرى الناس الى اربعة أقسام :

(١) الرجــل الجاهــل :

لايميز بين العادة الصالحة والعادة الرديئة واذا تيسر له مرشد يرجع بسهولة عن غيــه ٠

(٢) الرجل الجــاهل الضــال :

لايفرق بين العادة الصالحة والرديئة ولكنه متطبع مع الرذيلة واصلاحه أصعب ٠

(٣) الرجل الجاهل والضــال والمخاصم :

وهذا اصلاحه أصعب مما سبق ٠

(٤) الرجل الجاهل والضال المخاصم والغضوب/:

لايمكــن اصــلاحه ٠

مادمنا نتكلم عن الاخلاق فلابد أن نعالج كيف يمكن ان تكبح جماح قوى النفس الثلاث · ان هذا العلاج يتكون :

١/ـ بالطبيعة : الانبيـاء والرسل ·
٢/ـ بالتمرين : عند المرافقين للانبياء والرسل دون الاشرار ·
٣/ـ بالتدرج : وهو توجيه النفس الى الخير توجيهاً قسريا مستمرا

وقد يقاسون فى البداية ، ولكن فى النهاية تكمن سعادتهم ·

ان مرض النفس يؤدى الى تشويه معرفتها تماما مثل مرض العيون ، حيث تتشوه الصورة ، وهكذا فان مـرض النفس يؤدى الى ضعف المعرفة وبالتالى الى التشكك بالايمان ، ويقول ابن العبرى فوق هذا ان محبة الله تعنى حفظ وصاياه ومحبة غيره ايضا ، ولكن هناك كثيرا من مرضى النفوس لايشعـرون بمرضهم ، والاطبـاء يجب ان لايكونوا (بأنفسهم) مرضى النفوس » ·

والنفس عند ابن العبرى لها ثلاثة أوصاف :ـ

ـــ نباتية : تتغذى وتستسيغ الغذاء وتقذف الفضلات ·
ـــ حيوانية : لها حركة ارادية واحساس ·
ـــ عاقلة وناطقة تميز بين الخير والشر ·

وقد طلب المرتل داود مـن الله قبـل الان « قلبا نقيا وروحا متواضعة » ان المعرفة المكتسبة بالاجتهاد المتواصل والدرس تؤدى الى ادراك الحقائق العقلية المجردة عن المادة ، وهذه لاتنالها النفس الا بعد الترويض المتواصل لكافة شـهوات الجسم والايمـان بالاقنـوم الثالث من الثالوث الاقدس والترفع عن كل ماهو دنيـوى · ويمثل ابن العبرى النفس مثل (مرآة مصقولة جيدا ونقية خالية من كـل صورة وشكل وترتسم عليها الصور الخارجية · هكذا العقل الخالى من الصور واعتمادا على درجة نقائه من الاهواء الدنيوية ترتسم فيه اشكال لامادية ، ولاجـل أن نصـل الى المبتغى ينصح ابـن العبـرى بالمطالعة المفيدة وتأمل الخالق لان أى تلوث للفكـر بقراءات تافهـة تبعد الفكر عن الهدف السامى، وهنا يضـرب لنا مثـلا عمليـا على ذلك ، الحديد فالحديد النقى ينجذب بقوة الى المغناطيـس ، بينمـا الحديد الذى يحوى على شوائب تضعف قوة انجذابه بنسبة الشوائب، ولهذا فيجب تنقيته ، ونفس المعادلة تصح للعقل :

العقل + الشوائب ضعف ايمـــان

وختاما لهذه الفقرة نقول مع ابن العبرى :

اذا طهر العقل من الافراط بالامور اليومية الدنيوية والاهواء والشهوات فأنه يقترب من الله ويصبح طاهرا ونقيا ٠

العـــلم والديـــن :

يقسم ابن العبرى[١] العلم الى قسمين : اما الهى (كنسي) أو علم دنيوى بالرغم من أن ابن العبرى وضع كثيرا من كتب اللاهوت مثـــل (منارة الاقداس) والاشعة والحمامة ومخزن الاســرار كما وضـــع المرجع الوحيد تقريبا فى العلوم الدينية وهـــو كتابـــه (القـــوانين البيعية) ، حيث لازال المختصون يرجعون اليها حتى اليوم ، (فؤاد افرام البستانى)[٢] ٠ ولكن لنبق الان مع ابن العبرى فى العلوم الدنيوية ، حيث يقسمها الى ثلاثة أقسام ٠ أما العلوم الكنسية فلها مقـــام آخـــر ٠

أقسام العلوم الدنيوية هى :

ـــ الصـــالح ٠

ـــ الفاســـد ٠

ـــ الصالح والفاسد ٠

(أ) الصالح : ويقسم الى قسمين :ـ

١ ـ الضرورى : مثل الطب : ـ

وبدونه لاتكـــون الحيـــاة ســـليمة ٠

والمحاسبة : لتسيير امور التجارة والوصية والارث وغيرها ٠

٢ ـ المكمل : مثل اللغة والنحو التى تعـــطى العبارة فصـــاحة وجمـــــالا ٠

(ب) الفاسد : مثل علم التنجيم : الذى يؤدى الى خســـارة روحية وجسدية لانه قد يحـــدد لنا الخير والشـــر طبقا لحـــركة النجوم فيجعل المخلوقات عوض الخالق فيضعف الايمان ، أو يؤدى الى الخسارة الجسدية مثل الفال والسحر ٠ ومن سوء الحظ ان اهتمام ابن العبرى الزائد فى علم التنجيم تحول الى (فاجعة) وهى التنبؤ بوفاته قبل سنة كاملة حتى أنه كان ينتظر نهايته ٠ باقتران زحل والمشترى فى برج الدلو (فؤاد افرام البستانى)[٣] ٠

(ج) العلم الصالح والفاسد : وينقسم الى ثلاثة اقسام :

١ ـ المنطق : هو الجمع بين القضايا والمقابلة أو الموازنة بين الفكرة السليمة والخاطئة ٠

٢ ـ العلم الرياضى : الهندسة ، الحساب والمحاسبة والموسيقى ، وتعلم هذه العلوم قد يحرف الفكر ولايصلحه ٠

٣ ـ العلم الطبيعى : الخاص بالحكمة الخارجية واصنافها أربعة ٠

أزلية العالم	وحدة الفضاء لاينشق ولايتمزق	عدم امكانية وجود ما انعدم	الخالق المعبود (الارادة تخضع للطبيعة) أى الخير يفيض منه طبيعيا)

وبالرغم من ان ابن العبرى كان متضلعا من جميع العلوم فقد اشار الى أن هذه العلوم مثل الحنطة الممزوجة بالزؤان قد لايسلم البسطاء منها اذا لم يستقصوا غوامضها٠ففى الوقت الذى يوصى ابن العبرى بالعلم فهو يرى أن تدرس أولا الكتب الدينية ، أسفار العهدين وتفاسيرها وعلى يد معلمين ثقات ، ويؤكد على كبح جماح الجسد واقتلاع جذور الشر من النفس وكما يقول القديس بولس الى تلميذه تيموثاوس « واظب على القراءة الى حين قدومى » ٠

وقال مار افرام : لتكن الكتب مائدتك فتشبع من أطيابها ولتكن هى فراشك فتنام هادئا ٠

وقال مار اسحق : ان محبة العلم والغوص وراء تعاليم الكتب يبعد النفس عن الشر ويخمد النزوات الباطلة ٠ ولاتطلب المشورة من انسان يختلف معك بالهدف فى الفضيلة ٠

ولنبدأ الان بالعملية التربوية ، حيث يحدد لنا ابن العبرى المزايا التى يجب أن تتوفر فى طالب العلم والمعلم ٠

مايجب أن يتوفر فى طالب العلم :

١ ـ أن يكون طاهرا وحكيما بالدراسة ٠

٢ ـ ان يتحرر من المشاغل الدنيوية ويكون محبا العلم حتى يخلص نفسه ٠

٣ ـ ان لايتعالى أو يتعجرف على معلمه وان يسمعه ولايراقب اعماله ٠

٤ ـ ان يبتعد عن المناقشة العميقة لان محب النقاش الفارغ والسقيم يكون مضطرب الفكر ومشوشاً ويفقد حدود التفكير ٠

٥ ـ يدرس جميع العلوم ويفهمها ويتضلع مما هو ضرورى وواضح وماكانت فوائده دائمة فذلك هو ضرورى ، أى العلم الذى يجمل النفس نظريا وعمليا ٠

٦ ـ العلوم المختلفة تختلف بحججها وكلما كانت الحجج متوفرة مثل حجج المحاسبة تكون فائدة العلم أكثر وكل فائدة علمية فائقة تكون أكثر منفعة ، بينما نرى الطب بالرغم من كونه اكثر نفعا وضرورة لكن حججه قد تكون أقل بينما فضل الطب بفوائده ٠

وعندما يتناول ابن العبرى أهمية المعلم فى التربية وغرس المعلومات يذكر بعض الاقوال المشهورة ووصايا للمعلم الصالح ٠

قال الاب فومان : علم قلبك أن يحفظ مايقوله لسانك ٠

ويقول الاب سيريون : علم بالعمل لا بالقول لان العمل يرسخ فى المتعلم فيتعلم ٠

ـــ صفات المعلم :

١ ـ ان يكون مشفقا على تلاميذه ويكون لهم الاب الروحى وهو سبب الحياة الباقية والاب الطبيعى وهو علة الحياة الفانية فالمعلم اذن اعظم فضلا ٠

٢ ـ ان لايكون ماديا فى تعليمه وان لايطلب اجرة او مكافأة ٠

٣ ـ ان لايكون قاسيا ويوبخ التلاميذ ، وان يكون مرشدا ومربيا ويهاجم الاساءة بطريقة غير مباشرة ، لان التوبيخ الغاضب يمزق قانون الوقار ويدفع الى التمرد ٠

٤ ـ ان يختار مايفيد التلميذ من العلوم ، لان عكس ذلك ، يكون كالمريض الذى يريد ان يأكل طعام الاصحاء ٠ ان يكون

متواضعا مع التلاميذ ولايستصعب كلام (لا اعرف) وخاصة للسامعين الذين معرفتهم قليلة ، ولا اعلم عند الفلاسفة هى ليست عدم العلم بل نصف العلم ٠

٥ ـ ان يكون امام التلاميذ مثالا فى تطبيق براهين اقواله مثل العصاة والظل ، اذ كيف يستقيم الظل والعصاة ملتوية ٠

المصادر

١ ـ ابن العبرى ابو الفرج اهرون توما الملطى : الايثيقون (ترجمة الملفان مارغريغوريوس بولس بهنام،مطران بغداد والبصرة)٠ مطبعة الشباب ٠ قامشلى ٠ ١٩٦٧ ٠

٢ ـ ابن العبرى ، ابو الفرج اهرون توما الملطى ٠ الحمامة ترجمة المطران زكا عيواص مطران بغداد والبصرة) مطبعة الاديب بغداد ١٩٧٥ ٠

٣ ـ اغناطيوس افرام برصوم : اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والاداب السريانية ٠ مطبوعات مجمع اللغة السريانية ٠ مطبعة الشعب ٠ بغداد ١٩٧٦

٤ ـ فؤاد افرام البستانى : دائرة المعارف ، المجلد الثالث،بيروت ـ لبنان ١٩٦٠ ص ٣٥٣ ٠

٥ ـ ابن العبرى : مجلة المشرق ٠ العدد ٤ ٠ (١٩٤٦) صفحة ١٧٣ (تعريب بولس بهنام) ٠

٦ ـ بولس بهنام : مجلة المشرق ٠ العدد (١٢) ٠ (١٩٤٦) صفحة ٥٣٢ ٠

٧ ـ ابن العبرى : مجلة المشرق ٠ العدد ٠ (١) (١٩٤٦) صفحة ٤٢ (تعريب بولس بهنام) ٠

٨ ـ الغزالى : المنقذ من الضلال ٠ مصر ١٣٠٩ هـ صفحة ٠٣

جولة في كنوز ابن العبري

ـ الشماس عبدالمسيح افرام

كان ابو الفرج ابن العبرى مشعلا وضاء على منارة الحيـاة ، وبدرا متألقا فى سماء عصره يبدد ظلمات الجهل المخيم فوق ربوعه والمشعش فى عقول ابنائه ٠

كان ينبوعا عذبا متدفقا يغترف منه كل من اشـتد به الظمأ الى ينابيع الحكمة والمعرفة ، بل كان بحرا زاخرا يغوص فيـه كل باحث عن نادر جواهر العلم ونفيس لالىء الفلسفة ٠

وقد احسن العلامة الكبير البطريرك افرام الاول برصـوم فى وصفه اياه « آية من آيات الله واعجوبة من عجائب الـدهر ، واحد اعظم فلاسفة الشرق ولاهوتييه واكبر حكماء الدنيا غـير منازع ٠ فلم يقم له ثانيا من قريب او بعيد » ٠

درس ابن العبرى علم اللغة السريانية ، وطقس البيعة والكتاب الالهى وشروحه ، والعلوم الدينية والفلسـفية ، على ايدى اسـاتذة وطنه ائمة النصرانية ٠ واخذ مبادىء الطب عن ابيه ثم انصرف الى مزيد من طلب العلم ، فأحاط بشتى أنـواع العلوم والمعرفة كـعلم المنطق والهيئة ، والفلك والتاريخ والبيان والشعر ، والنحو ، فنال حظا منها وافرا ، واحتـل منـزلة مرموقة لـدى الملـوك والامراء والرؤساء ٠

كان شعار ابن العبرى«الحصاد كثير والفعلةقليلون» وكذلك ماقاله ابقراط « العمر قصير والعمل كثير » فهضم بسرعة فائقة سائر علوم عصره وماكان ضروريا لفائدته ، وموافقا لعقيدته وبالرغم مما ناله من علم ومعرفة وحكمة نراه يعترف بعجزه كما فعل سقراط قبله فيقول « انى اعرف شيئا واحدا وهو أننى لا اعرف شيئا » ٠

ويمتاز ابن العبرى بمزجه الفكر العربى الصوفى بالفكر السريانى النسكى ، وهذا واضح فى كتابيه (الاثيقون) و (الحمامة) بالمقارنة بكتاب العلامة الشهير ابى حامد الغزالى (١٠٥٨ـ١١١١)م المسمى (احياء علوم الدين) فبين هذه الكتب علاقة ادبية قوية لاسيما فى موضوع تنظيم الحياة الادبية والروحية للانسان وفلسفة التصوف ٠

اتقن ابن العبرى اللغة السريانية التى الف بها معظم مصنفاته ٠ كما أتقن اليونانية والارمنية ٠ وفى عام ١٢٤٥م جاء الى طرابلس الشام حيث احكم اللغة العربية ، وفى خزانة مدينة مراغة اطلع على الشروح الفلسفية باللغة العربية واحاط بتصانيف ابن سينا الطبية والفلسفية فاخذ بها بعد فلسفة ارسطو ٠ ثم درس اللغة الفارسية واطلع على كل ماكتب بها من كتب نسكية على اختلافها ٠

وبحق ودون مبالغة نُعتَ « ببحر الحكمة،ونور المشرق والمغرب، وملك العلماء ، واكبر الحكماء ، والاب القديس ، العلامة العارف بالله » ٠

بعد هذه النبذة عن آفاق ابن العبرى العلمية استعرض بايجاز اهم مصنفاته التى ابدعها احسن ابداع ونظمها اجمل نظم وقد بلغ عددها ستة وثلاثين كتابا ، بين مطول ومختصر ومقالة :

المؤلفات الدينية :

١ ـ كنز الاسرار : فى تفسير الكتاب المقدس وهو مجلد ضخم وموسوعة مهمة فى الكنيسة السريانية الارثوذكسية ، تناول فيه تفسير اسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد باستثناء سفر الرؤيا ، وذلك بحسب الترجمة السريانية المسماة بالبسيطة مقارنا اياها بالترجمة السبعينية وبغيرها من الترجمات منوها بفضل السبعينية ٠ واسلوب تفسيره اسلوب لغوى ، لفظى ورمزى ومصادره

كتابات الاباء السريان مثل مار افرام والسروجى وسويريوس الكبير وابن كيفا وابن الصليبى والصلحى والرهاوى وجرجس اسقف العرب وغيرهم ٠

اللاهوت النظرى :

٢ ـ منارة الاقداس : وهو موسوعة لاهوتية ضخمة ويعتبر اهم ماوضع فى الكنيسة السريانية الارثوذكسية ٠ تناول فيه الموضوعات اللاهوتية النظرية وهى العلم ، وجود الله ، خلق العالم ، التثليث والتوحيد ، سر التجسد ، الملائكة ، الشياطين النفس البشرية ، رئاسة الكهنوت ، الحرية ، وقيامة الاموات

٣ ـ كتاب الاشعة : وهو خلاصة كتاب منارة الاقداس ٠ وقد نقل الى العربية ٠

٤ ـ دستور الايمان : وهى رسالة سريانية تحتوى على صورة الايمان الارثوذكسى ٠ ورسالة منظومة جوابا لمار دنخا الجاثاليق النسطورى يعرض فيها صحة العقيدة الارثوذكسية ٠

الشرع الكنسى والمدنى :

١ ـ الهدايات : كتبه بالسريانية ويحوى اربعين بابا فى القوانين الدينية الكنسية ومن رسوم ونظم مدنية ، ومصادره فيه الكتاب المقدس والقوانين الرسولية وقوانين وضعها بطاركة انطاكية والاسكندرية وآباء الكنيسة ، ومراسيم ملوك الروم وفتاوى خاصة ٠ واصبح هذا الكتاب دستورا للكنيسة السريانية الارثوذكسية ٠

١ ـ الاثيقون : وضعه بلغة سريانية بليغة وهو فى علم الاخلاق وتنظيم الحياة الادبية والروحية للانسان ، يضارع كتاب (احياء علوم الدين) للغزالى فالكتابان يبحثان فى حيأة الانسأن الروحية والجسدية ٠ يقسم هذا الكتاب الى اربع مقالات،الاولى والثانية فى ترويض الجسد وتقويمه ، والثالثة والرابعة فى تنقية النفس من الميول الشاذة وتجميلها بأنواع الفضائل ٠

٢ ـ الحمامة : وهو مختصر فى ترويض النساك ومختص بالرهبان الذين ليس لهم مرشد روحانى ٠ واسماه «الحمامة» رمزا الى

الروح القدس الذى هبط على السيد المسيح اثناء العماذ بشبه حمامة · حققه وعربه قداسة الحبر الاعظم البطريرك زكا الاول عيواص ونشر ضمن مطبوعات مجمع اللغة السريانية فى بغداد ·

٣ ـ ملخص فى تفسير الكتاب المنحول ايرثاوس المجهول المؤلف ·

الكتب الطقسية :

١ ـ هذب واوجز ليتورجية مار يعقوب الرسول وهى مستعملة فى الكنائس السريانية الارثوذكسية · ترجمت الى العربية والانكليزية والمليالم (لغة جنوب الهند) ·

٢ ـ وضع ايضا ليتورجية مطلعها (رحيم انت ايها الرب ورحمتك منشورة على العالمين) ·
ولابن العبرى تعليق على طقس تبريك الماء فى عيد الدنح · كما اوجز كتاب رتبة المعموذية لمارسويريوس الانطاكى ·

الخطابة :

كان ابن العبرى واعظا وخطيبا مصقعا وله خطبة عربية بليغة لعيد السعانين حققها ونشرها البطريرك افرام الاول برصوم ، واخرى فى التوبة وردت فى بعض كتب مكتبة باريس بالكرشونية تقرأ كمرثاة على الجنازة ·

التاريخ المدنى والديني :

١ ـ تاريخ الزمان : كتاب ضخم بالسريانية بدأه من خلق العالم الى ايامه ، وروى فيه اهم احداث العالم دولا وملوكا وعلماء ورؤساء · وهو يتناول منطقة الشرق وما يتعلق بها من حوادث

٢ ـ تاريخ مختصر الدول : لقد طلب علماء المسلمين العرب فى مراغة الى ابن العبرى ان ينقل كتابه (تاريخ الزمان) من السريانية الى العربية فلبى طلبهم ، وأضاف اليه مايتصل بتحرير العرب اراضيهم من الفرس والرومان فى ايام الفتوحات الاسلامية ، وتاريخ دولتى الاسلام والمغول وتراجم العلماء والاطباء ·

٣ ـ التاريخ الكنسى بالسريانية وهو جزءان الاول، تاريخ بطاركة انطاكية ابتداء من الرسول بطرس حتى فيلكسينوس نمرود المتوفى سنة ١٢٨٥م · والمجلد الثانى : تاريخ جثالقة المشرق بدأه بترجمة الرسول توما وختمه بترجمة نفسه والتى اكملها بعد وفاته أخوه برصوم الصفي ·

قواعد اللغة السريانية :

١ ـ كتاب اللمع : وهو احسن نحو سريانى عرفه الناس واصبح دستورا للنحاة والطلبة ·

٢ ـ كتاب المدخل : وهو ملخص كتاب اللمع وكتبه فى بغداد فى مدة اسبوعين فقط · ونظمه على البحر الافرامى · فهو قصيدة لغوية مطولة بستمائة بيت واتبعه ، بمقالة فى الالفاظ المهمة·

٣ ـ كتاب الشرارة : وهو فى النحو ايضا ، وضعه ليكون خلاصة علم النحو ولكن المنية عاجلته قبل اتمامه وهو مفقود ·

الفلسفة :

١ ـ زبدة الحكمة : أروع ماكتب فى الفلسفة باللغة السريانية وهو جزءان :

الجزء الاول : يتضمن العلم المنطقى ، الفلسفى ، ايساغوجى، المقولات العشر ، وسواها من فروع الفلسفة ، الجدل ، المغالطة ، الخطابة ، الشعر ·

الجزء الثانى : العلم الثانى من الطبيعيات كالمادة والصورة والحركة والكون ومافيه من المعادن والينابيع والشهب والغيوم والصواعق والرياح والزلازل والكائنات الحية من نبات وحيوان والقوة المحركة لها ، وما الى ذلك ·

٢ ـ كتاب تجارة الفوائد : هو مجلد وسط فى المنطق والفلسفة ·

٣ ـ كتاب حديث الحكمة : ويتناول علم المنطق ، الطبيعيات ، ماوراء الطبيعة ، النفس والثواب والعقاب · ترجمه الى العربية البطريرك افرام الاول برصوم ·

٤ ـ البؤبؤ او الاحداق : فى المنطق والفلسفة ·

٥ ـ رسالتان فى النفس البشرية وجيزة ومطولة وضعهما بالعربية
٦ ـ الاشارات والتنبيهات : فى المنطق والفلسفة وماوراء الطبيعة للفيلسوف الشيخ ابن سينا نقله من العربية الى السريانية ٠
٧ ـ زبدة الاسرار : فى الفلسفة ، نقله من العربية الى السريانية عن اثير الدين الابهرى وهو مفقود ٠

علم الهيئة والرياضيات

١ ـ شرح كتاب (المجسطى) لبطليموس فى علم النجوم والافلاك وانجزه فى مراغة وهو مفقود ٠
٢ ـ الزيج الكبير اى معرفة حركات الكواكب لاستخلاص التقويم السنوى وتعيين الاعياد المتنقلة واهم مخطوطته فى الفاتيكان ٠
٣ ـ الصعود العقلى : وضعه بالسريانية ويتناول شكل الرقيع والارض والعلوم الفلكية وسمى بهذا الاسم لان به يتصاعد العقل الى السماء العالية ٠ ونقل الى الانكليزية والفرنسية ٠ وعرب فصولا منه المطران بولس بهنام ونشرها فى مجلة المشرق٠
٤ ـ تفسير كتاب اقليدس فى المساحة وهو مفقود ٠

الشعر :

يعد ابن العبرى فى الرعيل الاول بين الشعراء السريان ٠ وقد اجاد فى كل ابواب الشعر من مديح وهجاء ووصف ورثاء واخوانيات وزهد وحكمة وفلسفة ٠ واكثر قصائده على البحر السروجي ٠ ومن اشهر قصائده (الحكمة الالهية) وقد عربها شعرا وعلق عليها الملفان المرحوم المطران بولس بهنام وسمها ب (الملحمة الحمراء) ونشرت فى مجلة لسان المشرق ٠

الطب :

وضع وترجم عدة كتب فى الطب ، وصل الينا اليسير منها فقط وهى :
١ ـ شرح فصول ابقراط ، صغير الحجم ، نسخته الوحيدة موجودة فى خزانة البطريركية السريانية فى دمشق ٠

٢ ـ تحرير مسائل حنين بن اسحق الطبية ، بالعربية وهو الاخر له نسخة وحيدة فى خزانة البطريركية السريانية فى دمشق ٠

٣ ـ منتخب كتاب جامع المفردات أى الادوية لابي جعفر أحمد بن محمد بن خليد الغافقى الاندلسي ٠

اما الاخرى وعددها خمسة كتب فهى مفقودة ٠ وكان قد جمع فى بعضها اراء الاطباء فى المواد الطبية ، ونقل القسم الاخر الى السريانية عن العربية ٠

١ ـ الاحاديث المطربة : بالسريانية وتناول فيه فوائد من اناس ينتمون الى حضارات مختلفة كفلاسفة اليونان وحكماء الهند وملوك العرب ورهبان ونساك واطباء واسخياء وبخلاء وفكاهات وغير ذلك ٠

٢ ـ كتيب فى تفسير الاحلام ألفه فى صباه بناه على مراقبة الكواكب ورصد البروج ٠

وبعد هذا الاستعراض لحياة ابن العبرى العلمية والفلسفية من خلال مؤلفاته ، تجلت عظمة ابن العبرى وبانت منزلته٠والكتاب يقول (من ثمارهم تعرفونهم) ٠

وفى الختام ، لنحن هاماتنا اجلالا واكراما واكبارا لعالمنا وقديسنا مار غريغوريوس يوحنا ابن العبرى ولنردد مع البطريرك دنخا « طوبى لشعب له مثل هذا » والسلام ٠

مراجع البحث

اللؤلؤ المنثور : للبطريرك افرام الاول برصوم ٠

ابن العبرى : قداسة البطريرك زكا الاول عيواص

كنيستي السريانية : للمطران اسحق ساكا ٠

ابن العبرى : مقال للمطران الملفان بولس بهنام فى مجلة لسان المشرق ٠

ابن العبري

اديباً وشاعراً

ـ الاستاذ منير رزوقي ـ

يسعدني ان اتحدث في هذا الموقف عن عالم جليل وابن بار من ابناء الكنيسة السريانية الخالدة ، حاصرا موضوعي بالآثار الادبية والشعرية التي خلفها صاحب الذكرى ٠

لقد وجدت امامي وانا اتتبع تراثه الادبي كنزا ضخما من العطاء الخالد ، الذي مازال بعيدا عن كتب ترجمة حياته أو تلك التي نقلت آثاره الى العربية وكذلك محدودية انتشارها ٠

وان ابرز من عرّف قراء العربية بأبن العبري مفريانا وعالما واديبا وشاعرا، هو العلامة الخالد الاثر (البطريرك ماراغناطيوس افرام الاول) والعلامة الطيب الذكر (المطران بولس بهنام) ٠

غير ان ابن العبري رغم الجهود الكبيرة والمشكورة التي بذلت لتعريفه لقراء العربية مازال معروفا عالميا أكثر مما هو معروف عربيا ، فمؤلفاته باللغة السريانية ، وماترجم عنها بلغات عديدة متواجدة في مكتبات المتاحف والجامعات العالمية ، وهي مصادر جيدة للباحثين والدارسين ٠

وان ابن العبري الذي اشتهر باعتباره لاهوتيا وعالما وفيلسوفا ومفكرا كبيرا ، بقيت شهرته الادبية خافية ، الى ان أتيح في منتصف

هذا القرن ترجمة قلائد من قصائده التى تتميز بطابعها التصوفى والرمزى ، وقد اجاد مزج هذين النوعين من الشعر مزجا رائعا ، فتبدو القصيدة متصوفة الاتجاه رمزية المعنى ، وذات طبيعة فلسفية بصورة عامة ، حتى يمكن ان نطلق على شعره مجازا اسم (الشعر الفلسفي) ٠

واذا استثنينا الان ملحمته الكبرى (الحكمة الالهية) فان قصيدته الفريدة فى الحب الالهى تعكس بشكل واضح تصوفه وتعلقه بالرمزية ٠

لقد اتخذ شاعرنا العبقرى فى هذه القصيدة (الخمرة) مادة رمزية للحب الالهى ، ليس على طريقة الشاعر الفارسي عمر الخيام الذى كان يخاطب الخمرة ويعنيها مباشرة وبالذات ، بينما نرى ابن العبرى يخاطبها ليعبر عن ارائه الفلسفية فى التعبد والتزهد والتعلق بالحب الالهى ٠

وخمرة ابن العبرى كما يصفها بنفسه « قديمة جدا سبقت قدم الزمن ، وكانت موجودة قبل وجود المساء والصباح ، ولايبلغها العقل بتفكيره ولايصفها لسان البليغ ٠٠ انها ليست من الكرم ولم تمسها يد الكرام ، وعنقود العنب ليس أباها وليست بنتا له » ٠

ثم نراه يصف بقصيدته تلك حالة الذين يحتسون تلك الخمرة فاذا هم لايمتون بصلة لاولئك السكارى الذين يحتسون الخمرة العادية ، بل هم يتحولون الى افوياء متسامين ، واعين يرفضون الانقياد الى الشهوات والاعمال المنكرة ٠

وهو يصف باسلوبه الرمزى الرائع ، كيف ان يسوع المسيح شرب من هذه الخمرة (خمرة الحب الالهى) كما شربها من قبله الانبياء فنسمعه يقول ٠

« منها شرب موسى فى جبل سيناء فسطع محياه اكثر من الشمس والقمر٠٠ومنها سقى ابن النجار يوما بزمان تجسده فشربوا وثملوا واعلنوها حربا على الشر » ٠

ان ابن العبرى يحذر فى تلك الخريدة مدمنى خمرة الحب الالهى ، من هجرها ، ويصف ماذا يحدث لو ان احدهم فعل ذلك فنسمعه يقول : « اذا فارقت يوما احد المدمنين فأنه يفقد كل شىء فى حياته ، لقد فارقت يوما قلب بطرس لحظة واحدة فتسرع يغرق كالجلمود فى لجج البحر الهائجة ٠

وبعد استعراض طويل لمؤثرات خمرة الحب الالهى ، يشير ابن العبرى الى نفسه ، فيروى ماحدث له عندما شرب من تلك الخمرة ، فيستعير هنا قول الشاعر العربى القديم :

« شربنا على ذكر الحبيب مـدامة ٠٠٠٠ »

قائلا ٠ « انا شربناها على ذكر الحبيب ، وسكرنا فترنحـنا على المربع الخضيل ، لم تكن كاسا من البلور بل كانت كأسا لنا ولم تكن زجاجا ليذيبها اللهيب » ٠

وحبيب ابن العبرى هنا غير حبيب الشاعر العربى القـديم ، فهو بعد ان شرب (مدامة الحب الالهى) بات متعلقا ولهانا بالحبيب الاكبر ، وباتت نعمة البارى تحيطه احاطة السـور الحصـين وبات يشعر بالفخر والمجد واللذة الروحية العظيمة ٠

واذا كان لابن العبرى قصـائد ومقطـوعات اخـرى ، تحمـل الطابع الصوفى والرمزى نفسه ، فأن ملحمته الكبـرى (الحكـمة الالهية) هى أروع ما جادت به قريحته ، من هذا النمط من الشعر، وهى الملحمة الوحيدة فى الادب السريانى ٠

وقبل استعراض بعض جوانب هذه الملحمة ، لابد من التساؤل، لماذا كان ابن العبرى شاعرا متصوفا ورمزيا ؟

ان تعلق صاحب الذكرى بالصوفية وفلسفتها ، منـذ ان بدأ ينهل فى بداية صباه من كتبها ، ومعاصـرته لظـروف انتشـارها بالشرق ، كان لابد ان تنعكس على انتـاجه الادبى ، وعلى قصـائده الشعرية بصورة خاصة ٠ وهو يروى فى كتابه (الحمامة) كيف انـه سعى من اجل التصوف ، وكيف هجر الدنيا فى ميعة صباه وتخلى عن مباهجها فى عز شبابه ، وعزل نفسه عن العـالم فى احـد الاديـرة بجوار مدينة انطاكية ، وأمضـى فى عزلته هـذه عاما كاملا ، خبرَ خلالها حياة النسك ، واستعذب حياة التصوف ٠

وفى ابيات شعرية موجزة يصف سعيه ودأبه من اجل الاغتراف من الحكمة ، فيصور كيف انه وقف على بابها متوسلا لتسـمح لـه بالدخـول ، فيقـول :

قد طـرقت الباب حتى أشرفت ثم قالت من ببابي طـارق ؟

قلت : اننى ذلك الصـب الذى فى هواك العذب معيي مؤرق

فأجابت اى صب يا تـــرى كل قلـب فى هـوانا خافق

بين اصـحابى شباب قـد ذووا وشيوخ فى الجوى قد ارهقوا

وكما غرق ابن العبرى فى الصوفية ، فانه غـرق فى الرمزية ايضا ؟ الى درجة انه استخدم فى ملحمته الكبرى (الحكمة الالهية) الرمزية فى مخاطبة الاب والابن يسوع المسيح والقديسين والرسـل والانبياء وكذلك عندما تحـدث عن نفسـه وسـيرة حياته • فلماذا تشبث شاعرنا العبقرى فى الرمزية ؟

فى الواقع اننى مـن خـلال قراءاتى المتواضـعة عن صـاحب الذكرى لم اجد جوابا مباشرا على هذا السؤال • فقد كان ابن العبرى واقعيا تماما فيما قدمه من معطيات كنسية وعلمية وفلسفية ، ولكنه عندما كان يتحول الى شاعر ، يصبح شخصية اخرى تنزع نحو التعبير الرمزى ، كانه بذلك يـريد ان يتخلص من اى رقيب او حسـيب ، فيقول ما لايستطيع ان يقوله فى الواقعية ومن خلال دراسـة البيئة والاوضاع التى عاش فيهـا ابـن العبـرى يتضح بجـلاء لماذا نحـا منحى الرمزية فى شعره • من المعـروف عبر التاريـخ ان الرمزية تنتشر عندما تفتقد الحرفية •• ولو رجعنا الى حيـاته العادية منذ نعومة اظفاره لوجدنا انها اقترنت بالرعب والقلق ، فهو قد شـهد التتر ، وهم يدمرون بلدته ملطية مسقط رأسـه ، ويرتكبون فيها المجازر ، كما فعـلوا فى اغلب مدن الشرق فى ذلك الـزمن الردىء وقد حمل ذلك والده الطبيب هارون على الهـرب من البلـدة ، كما هرب بعد ذلك من انطاكية بعد ان غزاها التتر ايضا •

ويذكر ابن العبرى فى روايته لهذه الفترة من حياته ، كيف ان التتر اشاعوا الخراب فى سائر بلاد الشـام ، وكيـف انهم دمـروا مزارعها وبساتينها وسرقوا اموالها ، ولم تسلم منهم حتى حلى النساء وصلبان البيع ووجوه الاناجيل وآنية القداس المصنوعة من الذهب والفضة • وفى ذلك الوقت سنة ١٢٤٦م كان ابن العبرى قد اصبح راعيا لابرشية بلدة جوباس ، وهو يروى بتأثر قصـة هروب والده مع أخيه الصغير برصوم الى مغارة صغيرة على نهر الفرات وكيف احتميا هناك تخلصا من بطش التتر • وعندما رسـم ابن العبـرى اسـقفاً لجوباس كان فى العشرين من عمره فـقط ، فيما كانت الفوضـى تعم البلاد ، نتيجة تعرضها لغزو هـولاكو ، وكان من الطبـيعى ان

تنعكس هذه الاحداث على نفسيته ، ويتأثر بها فيما بعد ، فيسعى الى الرمزية فى التعبير عن مكنونات النفس ، خاصة بعد ان واجه فترة من التهجم على الكنيسة والتمرد على تعاليمها • وفى سنة ١٢٥٨م رأيناه عندما حاصر هولاكو مدينة حلب وكان مطراننا الشاب على كرسيها ، يخرج مضطرا الى الغازى المغولى مناشدا اياه ان لايرتكب المجازر فى المدينة ، كما فعل فى المدن الاخرى ، غير ان شفاعته ذهبت سدى ، لان الغزاة اقتحموا المدينة وأعملوا السيف فى رقاب السكان من المسيحيين والمسلمين ، حتى قيل أن الذين قتلوا فى حلب اكثر من الذين قتلوا فى بغداد على ايدى الغزاة المغول أيضا •

ان مثل هذه الاحداث المرعبة التى عايشها ، اثرت فيه تأثيرا نفسيا كبيرا ، وحملته بصورة مباشرة او غير مباشرة على ان ينهج نهج الرمزية فى انتاجه الشعرى ، اذ انه وجد فى الرمز وسيلة طيبة ومريحة للتعبير ، يضمن له الامان فى نفس الوقت •

لقد جاءت درره الشعرية بصورة عامة تذوب رقة وعذوبة ، حيث شغف بالمحبة ، كما شغف بالحكمة ، وناغى كثيرين من احبائه واصدقائه بابيات جميلة ساحرة ، كما انه غمز ببارعة من قناة اولئك المنحرفين واهل البدع والمتمردين على الكنيسة والمتهجمين عليها •

كما أجاد فى الرثاء ، ونراه ينحو منحى خاصا ، فلا يطرق الرثاء بالشكل المعروف فى الشعر مثلا بل نراه يرثى للنفوس الخاطئة والبلاد المحطمة والاديرة والكنائس التى دمرها الغزاة •

ومن اهم مميزات الرثاء عند شاعرنا ابن العبرى كما يقول الطيب الذكر المطران بولس بهنام « انه يدخل موضوعه مباشرة دون مقدمات وسوابق ، فلا يذم الزمان ولايثور على المصائب والمحن ، بل يضع المرثى أمامه فيضفي عليه حلة دامية مخضبة بالدموع والأسى » • ومن اشهر مراثيه تلك التى قالها فى المفريان صليبا والبطريرك يوحنا ابن المعدنى ، كما نراه يرثى شقيقيه موفق وميخائيل وكل هذه المراثي تقطر عذوبة شعرية فى الوقت الذى نلمس الحزن والأسى فى كل بيت من ابياتها •

اما فى المدح فان شعر ابن العبرى يخلو من الغلو والمبالغة ، وقد اقتصر مدحه الشعري على مشاهير عصره من اساقفة وعلماء •

وفى هجوه الشعرى ، فأن شأنه شأن جميع الشعراء لسريان لم يهج الناس باشخاصهم بل بافعالهم وتصرفأتهم ، حيث نراه يعمد الى تقريع بعض اصحاب البدع الذين جنحوا الى الضلال ، كما يغلظ الكلام لبعض الجهلة والدجالين ، فنـراه مثلا يخـاطب انسانا دجالا بقوله « انك غارق فى الحماة الى اذنيك ولاتشعر بانك ثمل بصهباء الجهل ، واعلم ياهذا انك لاترى لان الجهل قد أعمى عينيك » ٠

ونراه قاسيا فى ذم السفهاء فيخاطب احدهم انطلاقا من مقولة (القافلة تسير والكلاب تنبح) قائلا : اذا كان الكلب لايضـر أحدا بنباحه ، فدعه ينبح الى ابد الابدين لانه حقير وذميم وهـو لايرى السارية فى عينيه بل يرى دائما القذى فى عين أخيه » ٠

وقد تغنى شاعرنا العبقرى بالطبيعـة وجمالهـا ، كما تغنى بالربيع والورد ، ومن خلال مخاطبته للورد الذى خصه بالعديد من قصائده صور برمزيته اولئك الـذين يعيثون فسـادا فى الارض ، ويتظاهرون بحب الورد والرياحين والطهر والجمال ٠

وله فى هذا الشأن محاورة بينه وبين الورد جاء فيها :

« قلت للورد : مالى اراك فى ايدى الجهال والسكارى والمعربدين ؟

قال الورد : مهلا ايها السائل هدىء روعك ان حياتى قدهبطت الى الهاوية برفقة الاشواك ٠

قلت للورد : لم تتبذل كالمستهترين : لِمَ لاتصون جمالك ابان المحـن ٠

قال الورد : كن واعظا لنفسك ياهذا فالاسـتهتار آهون علي من هذه الاشواك ٠

قلت للورد : عندما يحاول البستانى قطفك خزه فى صـدره ولاتدعه يخطفك ٠

قال الورد : اني فتحت فمي لاقبل اليد التى تريد تحريرى من عبودية الاشـواك » ٠

واذا كان يطول التطرق الى كل ابواب شعر شاعرنا العبقرى ، فلا بد من القاء نظرة سريعة على ملحمته الخالدة (الحكمة الالهية) التى تجسدت فيها رمزيته بأجلى معانيها وروعتها ، وحمل فيها على نزوات النفس البشـرية العارمة ، فقـد أطـرى المحبة والتواضـع

والتقرب الى الله ورسم طريق التوبة والتسامى على الصغائر والنزوات • ويرى بعض المؤرخين ، ان هذه الملحمة الكبرى والفريدة من نوعها فى الادب السريانى ، قد رفعت ابن العبرى الى مصاف الشعراء الخالدين ولابد من الاشارة هنا الى ان اجدادنا السريان فى العصور السابقة ، كانوا يتغنون بها ويحفظونها عن ظهر قلب ، وهى عندهم من قصيدة امرؤ القيس المشهورة فى الادب العربى :
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل •••

الا" أن ملحمة (الحكمة الالهية) غابت عن هذه الكنيسة بحكم فقدان ونسيان لغة الاجداد ، وكان المطران بولس بهنام ، طيب الله ثراه ، الوحيد الذى تصدى لتعريبها موزونة ومقفاه ، رغم(١) صعوبة مثل هذه المهمة لكى تكون فى متناول ابناء الكنيسة وقراء العربية ، غير انه لم يجر حتى الآن نشر الملحمة على نطاق واسع ، ومازالت غير معروفة جيدا حتى من قبل معظم الشعراء والباحثين العرب •

ان الملحمة تقع فى ٣٠٠ بيت وهى زاخرة بالمعانى الرمزية • ووضع فيها شاعرنا ابن العبرى كل ارائه وفلسفته ونظرته الى الحياة وقال من خلالها ، ماقد لايستطيع ان يقوله فى مجال اخر • ومن خلالها ايضا استعرض الكثير مما جاء فى العهدين القديم والجديد، وتطرق الى سير الانبياء والرسل ، والى العديد من القضايا العلمية والفكرية والفلسفية ، بالاضافة الى ابداء ارائه بالقضايا الروحية والكنسية انه يبدأ ملحمته بوصف الحكمة بالغادة الحسناء ، كما يصفها بالكاعب العذراء ،لان احدا لم يتوصل الى كنهها ،كما يصفها بنفس الوقت بالعجوز لقدمها وسموها فهو يخاطب الحكمة بقوله :

خطرت والشمس فى رأد الضحى
تتوارى خجلا من طهرها

غادة والحسن فى اجفانها
وبهاء المجد في منظرها

كاعب ام عجوز طفلة
حيرت كل الورى فى أمرها

كـم رجـال قـد اصـابوا وصلها
لـم ينلهـا واحـد فى سـرها

وفى البيت الاخير ينوه شاعرنا بان الحكماء قد اتصلوا بالحكمة دون ان يستطيع احد ان يسبر غورها ٠

ثم يمضى **شاعرنا فى التغزل بالحكمة** بعـد ان شـبهها بالغادة الحسناء ، فنراه يصف عظمتها وغموضها ، وكيف انها تغرى الناس اليها ، دون ان تمكن أحدا من كشف سرها فينشد قائلا :

فى محياهـا عفـاف طاهـر واضطرام وعلالات الجـوى
وبها شوق الى الوصـل كمـا انها تأبى خضـوعا للهـوى
وهي تغـرى بعيـون كالتي قلبها بالحب والشوق اكتوى
ترفع الـرأس على أحبابهـا وحيـاء فوق خديهـا استوى

ثم يمضى شاعرنا العبقرى فى ملحمته فيصف تاريـخ الحكمة فى العالم **من الحضارة اليونانية الى الحضارة البابليـة** ، ثم ينـوه بتاريخ العلم وبما اشتهرت به الامم فى فروعـه ، فيخص البابليين بعلم الهيئة والفلك ، بينما يشير الى تفوق قدماء المصريين فى السحر والهندسة والى شهرة الفينيقيين بالملاحة ، والاتـراك فى الموسـيقى وهـكذا **ينشـد** ٠

نغمة تلقي الضـيا فى بابل وهى ترقى فى ذرى آفاقهـا
اختها تمنح مصـر سـحرها فتنـير الارض من اشـراقها
نغمـة اخـرى بها فينيقيـا تسبر الاغـوار فى اعمـاقها
وتُنيل الترك آخـر شجوها فيميـد الدهر فى اشـواقها

---

(١) ان العلامة المطران بولس بهنام كان الوحيد الذى عربها كاملة نظماً وقافية ٠ غير ان الاديـب اللبنانى بطـرس البستانى ، سبق وان عرب قسما منها نظما وبالقافية =

وفى الحكمة الالهية يستعرض ابن العبرى من خلال رمزيته ، مراحل مجىء الانبياء الى الارض وما لاقوه من صدود البشر ، ثم كيف ارسل الرب ابنه الحبيب لخلاص العالم · ويتخيل بانه يتحدث الى يسوع المسيح ، ويتخيله وهو يتحدث عن رسالته فى الارض ، وكيف بشر وتعذب وصلب وقام من اجل انقاذ البشرية المعذبة ، ومن اجل الحاق الهزيمة بالشيطان ·

وكعادة الشعراء فى الاغراق بالخيال ترى ابن العبرى يسرد كيف تحدث الى يسوع المسيح فنراه ينشد :

وتحدثت اليه بهوى وارتياح كخدين أو رفيق
وهو يصغي بابتهاج كامل مثلما يصغي صديق لصديق
فبسطت القول عن موطنه واسمه او اصله السامي العريق
وتطرقت الى احواله فمضى يدلى بتقرير دقيق

ويسترسل الشاعر فى هذا الوصف الرائع الى ان يتحدث على لسان يسوع المسيح عن مهمته السماوية فى الارض ، بعد ان ارسله الله الاب لكى يحارب الشر ويبشر بالمحبة والسلام ويحارب الشيطان ممثلا بالذين عاثوا في الارض فسادا :

فانتضاني الملك من مهجته
لأبيد المارد الجاني الزنيم
ويلاقي صدرى سهما فاتكا
فأرد السهم في قلب الغريم

= كذلك ، وهذا مطلعها ·

بدت يجلو فى عالمنا سناها
فنور الشمس يخجل من ضياها

ـ المعد ـ

زى اهل الارض قد جئـــت بـه

خوف ان يعرفني الباغي الرجيـم

فيـولى الوجـه عـني هـــاربا

ويموت المضـــني فى الاسـر الأليم

وفى ختام الملحمة الشعرية يحيي شـاعرنا الكبير يسوع المسيح ورسالته العظيمة على الأرض :

ياخفيا جـاء يومـا أرضـنا خارجاً من خدره العالي العظيـم

وتجلى منقـذا كـل الـورى ومضى للنصر للبيـت القـديم

أرافن بالبائس المضـني وجـد بخلاص العبد من نـير وخيـم

وليـكن ملكك يـارب السـما غير مجـذوب باشراك اللئيـم

وهكذا رأينا شاعرنا ابن العبرى يتخـلى عن رمزيته فى ختام ملحمته الرائعة فقط بعد ان تمادى فى الرمـزية فى باقى أبياتها الثلاثمائة • فقال مالم يستطع أن يقـوله من خلال الشـعر الواقعى المباشر • وقد اثبت في هذه الملحمة انه بارع فى الشـعر الرمزى ، براعته فى مختلف العلـوم •

وبعد ، فقد لا اكون أوفيت ابن العبرى الاديب والشاعر حقه، فهى ليست بالمهمة السهلة خـلال وقت محـدود ، ولكن ربـما كان شفيعى اننى قد بذلت جهدا ، وقدمت هذا العطاء المتواضع من اجل ان نستعيد بامتنان وابتهاج ذكرى العلامة الكبير والشاعر المبدع ، ابن هذه الكنيسة البار مار غريغوريوس ابن العبرى مفريان المشرق الخـالد •

فتحية الى ذكراه بكل اجلال واكبار ، ولتكن الذكرى حافزا من اجل العمل الدؤوب لنشر مؤلفاته على نطاق اوسع مما تم حتى الان •

ندوة

البرشية دير مار متى

١٠ تشرين الاول ١٩٨٦

كَلِمَةُ الافتتاحْ

ـ نيافة المطران ديوسقورس لوقا ـ

ايها الحفـل الكريـم

نحتفل اليوم بذكرى احد ابطال الكنيسة السـريانية وعلمائها الافذاذ وملافنتها الميامين ، هو العلامة الكبير مار غريغوريوس ابـن العبرى ، الذى نال شهرة واسعة بغزير علـمه ونقاء سـيرته • ان مانقوم به ماهو الا بعض مايستوجب علينا عمله تجـاه هـذا الرجل الجليل الذى استوعب معظم علوم عصره حتى لقب بموسوعة جيله • قد ينبغ عالم فى احد مجالات المعرفة من فلسفة او لاهوت او طب او أدب ، بيد ان علامتنا تصدر لكل أصناف العـلوم ونال من كل منها قسطا وافيـا •

انه لمن دواعى اعتزازنا ان نقيم هذا الحفل احياء لذكراه لكى نتخذ منه نبراسا فى حياتنا نسـير على هديه ، وجدولا رقراقا ننهل من عذب مائه • ونقدمه لابنائنا مثالا للعمـل الـدؤوب والكفـاح المنيد رغم قساوة الظروف ، والخدمة المثلى لله والكنيسة والانسانية لكى يترسموا خطواته ولئن كان فى ذلك بعض الصعوبة •

ان تقديرنا لهذا العالم الجليل هو تقـدير للعلم والعلماء فى كل زمان ومكان ، واشادة بمآتى كنيسـتنا السـريانية امّ العلماء والفقهاء التى انجبت العديد منهم ، ممن يشار اليهم بالبنان •

هذا ونسأل العون والازر من الرب لكى يؤهلنـا ان نفى بعض حق هذا العلامة العبقرى علينا ، انه السميع المجيب •

ابن العبري
زينة مفارنة المشرق

ـ الافودياقون (القس) عبدالله اسحق/بعشيقه

من حسنات الزمان ، ان يجود بين آونة واخرى برجال افذاذ يرفعون رايات العلم ويجلون قدر المعرفة ، ويرفدون الحضارة البشرية ببنات افكارهم السديدة وآرائهم الصائبة المسير بها قدما نحو التقدم والازدهار ، من أجل خير البشرية جمعاء ويغذونها بمآتيهم وثمار عبقريتهم • وعلامتنا ابن العبرى ماهو الا أحد هؤلاء العظماء الذين خلدهم التاريخ عبر اجياله وعصوره ـ فقد كان نبعا ثرا ارتوت منه الكنيسة السريانية خاصة والبشرية عامة •

مولده ونشأته :

هو غريغوريوس « يوحنا ابو الفرج الملطى ، الملقب جمال الدين ، المشهور » بابن العبرى مفريان المشرق الجليل والذائع الصيت •

ولد هذا الفيلسوف الكبير عام١٢٢٦م فى مدينة ملطية ـ تركيا من ابوين مسيحيين فاضلين ، وسمى بالمعمودية «يوحنا» وابوه هو الشماس تاج الدين اهرون بن توما الملطى المكنى ـ بابن العبرى ـ وكان طبيبا سريانيا حاذقا ، لا كما توهم بعض المستشرقين انه كان يهوديا متنصراً ، منخدعين باللقبين « اهرون •• وابن العبرى » وكانت امه من فضليات النساء ، وكفاها شرفا انها انجبت « ابن العبرى » •

نزح جده من قرية كبيرة اسمها «عبرا» الواقعة على الضفة اليمنى من نهر الفرات من اعمال جوباس بينها وبين ملاطيه بضعة كيلومترات ، ويظهر منها المفريان « لعازر » سنة ١١٤٣م · وبين «عبرا» وملاطيه علاقات اقتصادية واجتماعية كثيرة وصلة روحية لكونها احدى القرى الكبيرة المرتبطة باسقفية جوباس التابعة لابرشية ملاطية · وهذا سبب تسميته « ابن العبرى » خلافا لما ذهب اليه بعض الكتاب الذين يجهلون هذه الحقيقة التاريخية الهامة · والاغلب ان اباء الكنيسة العظام وفلاسفتها لم يهتموا منذ فجر النصرانية بالاحساب والانساب شأن غيرهم من زعماء العالم وساسته · حيث انها ناحية بشرية صرفة ، انما جعلوا احسابهم وانسابهم العلم والفضيلة والايمان والزهد والنسك · وهذا اسمى ماينتسب او يحتسب اليه حملة الرسالات الروحية الكبرى كمفريانا العظيم · الا ان اسم «عبرا» لاحقه · فبقيت النسبة فى احفاده، فنعت كل منهم بـ «ابن العبرى» · وعلى هذا القرار نسب الكثير من آباء الكنيسة الكبار الى المدن او القرى التى جلوا عنها او ولد وعاش فيها آباؤهم وجدودهم · فمثلا قيل ، البطريرك قرياقوس التكريتي، وديونيسيوس التلمحرى ، ويوحنا المعدنى ، وقس على ذلك · لان النسب البشرى لايشين عالما عظيما وناسكا متواضعا كابن العبرى مهما كان متواضعا · فنسبه الروحى العلمى الفلسفى الجليل يسمو به الى اعلى ذروة من المجد المتألق والكرامة المشرقة ·

ان هذا العلامة ذاته ينفى ذلك بصراحة فى بيتين سريانيين قالهما فى نفسه «اذا كان الرب قد سمى نفسه سامريا ـ فلا غضاضة عليك اذا دعوك بابن العبرى ، لان منشأ هذه التسمية نهر الفرات، لا دين معيب ولا لغة عيرية » ·

دراســـته :

احب العلم منذ نعومة اظفاره ، فدرس على مهرة اساتذة مدينته · واتقن اللغة السريانية والطقوس البيعية ، وقرأ مبادىء الطب على ابيه اهرون ، وفى اواخر عام ١٢٤٣م رحل والده باهله الى مدينة انطاكية لاضطراب حبل الامن فى بلاده · فواكبه علامتنا مواصلا دراساته الواسعة ثم انتجع مدينة طرابلس الشام مع صديق له اسمه صليبا وجيه بن يعقوب الرهاوى فاتم دراسة الطب والبيان

والمنطق على الامام العلامة يعقوب النسطورى احد مشاهير علماء السريان · ولم يتوقف عن الدراسة والتتبع حتى تضلع من جميع علوم عصره · ولم يدع شاردة او واردة الا واطلع عليها وتفهمها تفهما كاملا ·

انه احد اقطاب الفكر فى الشرق بلا منازع ، ومن اساطين الثقافة السريانية الكبار ، لابل امير الفكر السرياني على الاطلاق · « واذا كان ارسطو يمثل ذروة الفلسفة اليونانية وابن رشد يمثل ذروة الفلسفة العربية فابن العبرى يمثل ذروة الفلسفة السريانية »، فاصبح بحق علامة العلماء الافذاذ الاشهر ، حيث نعته قداسة البطريرك افرام الاول برصوم ب « آية من آيات الله واعجوبة من اجل اعاجيب الدهر · احد فلاسفة الشرق ولاهوتييه ، وحكماء الدنيا النوادر ، علم الهدى وكهف التقى وتاج الامة وامام الائمة المطبوعين، اصحاب الابداع ، زانه الله سبحانه وتعالى بعقل راجح كبير وذكاء خارق وذهن متوقد وفكر نير دقيق ولسان فصيح ولفظ آنيق،واقامه على العلوم منارا ميسرا له منها السهم الاكمل » · كما نعت « ببحر الحكمة ونور المشرق والمغرب ، ملك العلماء والاب القديس والعلامة العارف بالله · انحدر من شجرة صالحة فى الحسب الاثيل كما اشرنا وطلع على الامة السريانية بجبين مشرق ووجه صبوح » ·

تقلده رئاسة الكهنوت :

ترهب عام ١٢٤٤م وانزوى فى مغارة معزولة فى احد الاديرة بقرب انطاكية متنسكا · وفى عام ١٢٤٦م رسم اسقفا لبلدة جوباس بجوار ملطيه بامر من البطريرك اغناطيوس داود تقديرا منه لما احرزه من كنوز المعرفة · وذلك يوم عيد الصليب وسمى «غريغوريوس» وهو بعد فى العشرين من عمره · وهذا حدث فريد من نوعه فى تاريخنا الكنسي على امتداده الطويل · وسمى بعضهم هذه الحالة النادرة ب (غلطة الزمان) وقد حدث هو عن نفسه بقوله « لما بلغت العشرين من عمرى ، اضطرنى البطريرك المعاصر آنذاك الى تقليد رئاسة الكهنوت » ثم نقل الى اسقفية «لاقبين» سنة ١٢٤٧م على اثر استقالة اسقفها اهرون من كرسيه وانتقاله الى بيت المقدس ليقضى باقي حياته فى الخلوة والنسك · ثم نقل الى ابرشية حلب عام ١٢٥٣م فمكث فيها اثنتى عشرة سنة · على اثر ارتقاء

باسيليوس صليبا وجيه بن يعقوب الرهاوى الى رتبة مفريانية المشرق ٠

وفى ١٩ كانون الثانى سنة ١٢٦٤م رقى الى سدة مفريانية المشرق على اثر تبوأ كرسى البطريركية مار اغناطيوس يشوع سنة ١٢٦٤م فى حفلة رائعة جرت فى مدينة سيس ٠ وحضرها هيتوم (حاتم) ملك كيليكية واولاده واخوته واعيان دولته ورؤساء اساقفة الارمن وعلماؤهم وشعب غفير من كل الفئات والجهات ٠ وقد فاه بخطبة بليغة نفيسة عن رئاسة الكهنوت بالمناسبة واتخذ آيته الذهبيه من قول المرتل « انت يارب جبلتنى ووضعت عليّ يدك » « مزمور ١٣٨ : ١٥ » وقام المفريان ابن العبرى بعد رسامته فورا بزيارة هولاكو فاستقبله بحفاوة بالغة لمكانته الكنسية والعلمية وطرح امامه بعض الامور المتعلقة بمصلحة الكنيسة فنال مبتغاه ٠ حيث اقام اثنتين وعشرين سنة وبعض الشهور متنقلا بين الموصل وقراها ودير مار متي وبغداد ومراغه وتبريز ٠

شخصيته وصفاته :

كانت شخصية ابن العبرى العلمية طاغية على جميع نواحيها الاخرى ٠ اضف الى ذلك مكانته الاجتماعية السامية من حيث مركزه الدينى الكبير وخلقه الرفيع وروحه الطيبة ، الامور التى جعلته ان يحتل مكانة مرموقة فى جميع الاوساط ومنزلة سامية لدى الملوك والامراء والرؤساء ٠ وقد قال احد زعماء المسلمين « انى اذا سمعت خطابا من المفريان ، فكأنى اسمع الحكمة من ارسطو طاليس » وقال فيه دنخا جاثليق النساطرة « طوبى للشعب الذى له مثل هذا » ٠

ومن مواقفه يوم كان اسقفا فى حلب عام ١٢٥٨م وقد حاصر هولاكو مدينة حلب ، انه خرج الى الغازى المغولى يستعطفه بسكان المدينة غير ان شفاعته لم تفلح ، لان الجند اقتحموا المدينة وانتشروا فى كل انحائها يعملون السيف فى رقاب السكان ٠ وقد نال حظوة عند هولاكو نفسه عن طريق الطب ٠ وكان يتواجد فى مدينة اردو فى بلاط هولاكو صحبة الاطباء فى خدمة الملك ٠ ومن صفاته البارزة انه لم يكن محبا للمال ٠ حيث جاء على لسان اخيه برصوم الصفى قوله « انى لم اره طيلة الاربعين سنة يمسك فلسا بيده ٠

وعندما كان المؤمنون يقدمون له شيئا · لايتناوله بيده فيضعه المؤمنون امامه · ويبقى حتى يأتى احد تلاميذه فيأخذه ، وبعد تجميع هذه الاموال كان يفكر بطريقة مفيدة لينفقها على الفقراء والمساكين وخير الكنيسة » ·

اعماله الروحية :

لقد وهبه الله حكمة خارقة واصالة رأى فى حل المشاكل الكنسية والاجتماعية بين المؤمنين فكان يرفض تقديم الشكاوى الى الولاة المغول والقضاة المدنيين لئلا تهان كرامة الكنيسة ويحتقر رجالها · كما ان روحه الطيبة ، كما اشرنا ، جعلته يضع الوفاق بين جميع الكنائس المسيحية المتنازعة ويزيل الخلافات والعقبات بينها ،ومنها النساطرة والارثوذكس،حيث كانت العداوة التاريخية مستحكمة بينهم منذ القرن السادس · كما انصرف الىتدبير المؤمنين اقتداء بالرعاة الصالحين رافعا للكنيسة شأنا خطيرا فى عالمى الدين والدنيا وسد جميع الشواغر بالاساقفة والكهنة والشمامسة وكان ينتخب افضل الرهبان واوسعهم علما وابعدهم صيتا فى المقدرة والمواهب الروحية · وقد رفض منح الاسقفية لرهبان غير أكفاء حاولوا الحصول عليها · فأعادهم على اعقابهم خائبين ·

كما عمل على توطيد سلطة البطريرك مار اغناطيوس يشوع فسافر معه الى مدينة اذربيجانللمثول بين يدى هولاكو فرحب به بكل كرامة · وفى رحلته الاولى الى سوريا سنة ١٢٦٨م التقى بالبطريرك مار اغناطيوس يشوع وهو فى طريقه الى الدار الملكية للحصول على امر فى ارجاع دير مار برصوم بعد ان اغتصبه القس شمعون الطبيب فنصحه ان يعود لكى يحل هذا المشكل بامر كنسى دون اطلاع المغول على خصومات رعاة الكنيسة ·

لقد بلغت ابرشيات المشرق الخاضعة للمفريان خمس عشرة ابرشية ، ماعدا ابرشية دير مار متي ونينوى·وظلت هذه الابرشيات بين جزر ومد حتى القرن الثالث عشر،حيث ارتقى مار غريغوريوس ابن العبرى كرسى مفريانية المشرق فوجد بين يديه عشر ابرشيات فقط ولكنها كانت عامرة بكنائسها واساقفتها وكهنتها وشعبها وقد فضلها المفريان ابن العبرى نفسه على ابرشيات الغرب الخاضعة للبطريرك · وكان يشعر بارتياح تام فى المشرق ولكن كانت الظروف

آنـذاك قاسـيه ٠

اما الابرشيات العشر فهى : ١ ـ ابرشية دير مار متي ونينوى ٢ ـ بغداد ٣ ـ بيت رامان ٤ ـ بانوهدرا ٥ ـ اذربيجان ٦ ـ تبريز ٧ ـ سنجار ٨ ـ نصيبين ٩ ـ جزيرة ابن عمر العربية ١٠ ـ اربيل

اعمالـه العمرانية :

كان العلامة ابن العبرى حركة مسـتمرة كأسقف وكمفريان ، فله فى حقل العمران نشاطاته المعروفة ، حيث بنى دارا للاسـقفية وكنيسة فى مدينة مراغه ، وجدد فى بغداد الكنيسة المسـماة باسم العذراء التى بناها الرئيس صفى الدولة سليمان ابن الجمال ، آحد اعيان السريان فى بغداد ، بقرب دار الخلافة سنة ١٢٧٤م كما بنى فى مدينة تبريز كنيسة اقـام فيها ايـوانا حجريا ضـخما وغـرفا للضيوف وانشأ دير مار يوحنا وكنيسـة فى برطلى سنة ١٢٨٤ ـ ١٢٨٥م كما عرف عنه انه كـان مولعا بحسـن هندسـة الكنائـس وزخرفتها ولهذا فقد استقدم مصـورا يونانياً حـاذقاً زين كنيسـة الدير المذكور بصور بديعة ونقل الى الكنيسة ذخـيرة الشهيد ابـن النجارين وفى حلب بنى فندقا كبيرا بجانب الكنيسـة ليكون بمثابة مستشفى للمرضى او مأوى للغرباء ٠

مؤلفاتـه ومصـنفاته :

اشتملت مؤلفاته جميع صـنوف العلـوم الالهيـة والفلسفية والانسانية وجاءت بـ (٣٦) مؤلفا بين موسوعة كبيرة ورسالة صغيرة تضمنت علم الكتاب العزيز ، وتفاسيره والتاريخ ، واللغة ، والفلك والطب ، والشعر ٠ هذا كله قليل من كثير مما قدمه مفريانا الخالد على الصعيدين الدينى والدنيوى ٠

وفاتـه :

كان المفريان العلامة يتوقع الموت سنة وفاته ١٢٨٦م وقد اشار الى ذلك فى بيت من الشعر بالسريانية ترجمتها : « ايها العالم ، لقـد اصطادتنى شـراكك سـنة ١٢٢٦م واظـن اننى سـاغادرك سـنة ١٢٨٦م » ٠ وفعلا كانت هذه السنة مشؤومة جدا حيث تكررت فيها الغارات والغزوات على ديـار الموصـل ، وكثر اللصـوص وقطاع

الطرق هنا وهناك · واختل توازن الدولة ، وفقد الامن واصبح كل واحد يخشى على حياته فخاف الصفى برصوم ان تتحقق هذه الوساوس الغريبة فى ضمير اخيه المفريان ، فاقنعه بضرورة السفر الى اذربيجان ، بينما كان هو يمانع اشد الممانعة رغبة فى البقاء بين قوم احبهم واحبوه ليلقى ربه بين ظهرانيهم ، ولكنه استسلم اخيرا ألى رغبة اخيه الصفى ورحل الى اذربيجان ، وحط رحاله فى مدينة مراغه ·

وفى ليلة السبت ٢٨ تموز سنة ١٢٨٦ شعر بحمى خفيفة تتغلغل بين مفاصله حتى زاد عليه لهيبها فى اواخر الليل · وفى صباح الاحد التف حوله اطباء البلدة واشاروا عليه بشرب الدواء فابى وقال «قد أعيى الداء عن الدواء» والساعة الرهيبة قد دنت· وقبل ان تغيب شمس هذا النهار كانت شمس حياة هذا الفيلسوف الكبير والاب البار القديس تتسارع نحو المغيب · فشعر الرجل العظيم بدنو الساعة ، وطلب قلما ليكتب وصيته الاخيرة · غير ان انامله لم يعد فى وسعها القبض على القلم ، فدعى احد تلاميذه وقال « تعال ياشماسى العزيز،ياسعيد الطبيب وخذ القلم واكتب » وشرع يقول والتلميذ المفجوع يكتب « الانسان مثل العشب ايامه وكزهر الحقل كذلك يزهر » « مزمور ١٠٣ : ١٥ » وهكذا حتى انهى وصيته هذه ، ثم ادى الاعتراف القانونى واخرج سجلين يحويان على صورة ايمانه ، احدهما للكرسى البطريركى والاخر للكرسى المفريانى · واسلم كل ذلك الى اخيه الصفي ، ونظر الى تلاميذه بكل هدوء وسكينة وقال لهم اوصيكم ان يحب بعضكم بعضا ، فالمحبة يا اولادى رباط السلام · ساغادركم الى دار الخلود واحظى برؤية الرب واطلب لاجلكم · وبعد هذه الكلمات الذهبية وافته المنية فى مدينة مراغه بأذربيجان ودفن فيها فى ٣٠ تموز عام ١٢٨٦م عن عمر يناهز ستين عاما · وبعد عمل شاق وجهاد موفق طويل ، فأوقفت قلما دبج الخوالد · واشتد الحزن والاسى على جميع المسيحيين الذين بالغوا فى الاحتفاء بتجنيزه · ونقل رفاته الطاهر بعد فترة الى دير مار متي ، ولايزال موضع التكريم والاجلال وسيبقى كذلك على مر العصور ·

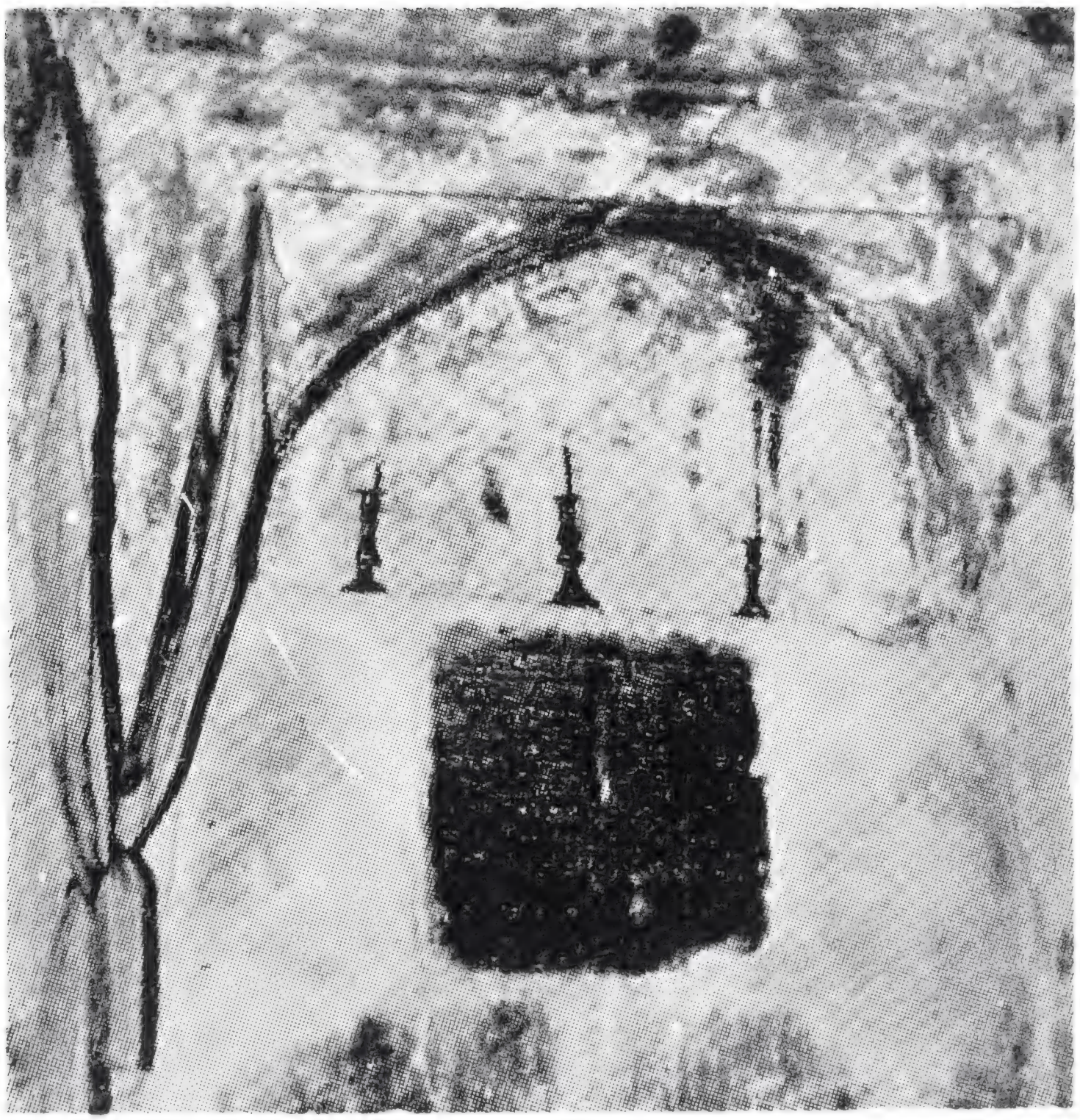

ضريح العلامة المفريان مار غريغوريوس ابن العبرى

عثرات اللسان
كيف يعالجها ابن العبري

ـ الاب القس افرام الخوري ـ بحزاني ـ

يأتي العلامة ابن العبرى فى طليعة الادباء السريان وكتابهم الذين اولوا الاخلاق اهمية خاصة فنادوا بها وحذروا مما يشينها او يفسدها • ولعل كلفه بالحياة الصوفية حفزه على الاستفاضة فى الحديث عن فلسفة الاخلاق ، حتى انه وضع كتابا خاصا فى هذا المضمار ومنه استقى العناصر الاساسية لموضوعي هذا ، وحيث ان النفس هى المحور الذى تدور الاخلاق حوله ، لذا فانه يرى ان اول شيء يجب عمله لصيانة الاخلاق والابتعاد عن العثرات والزلات هو تنقية النفس من الاهواء المنحرفة الشريرة • وبعد ان يشرح ماهية النفس وقواها العقلية يبحث امراضها وكيفية معالجتها كالشراهة ، وعثرات اللسان ، والغضب والحقد والكبرياء والحسد والتفاخر والمجد الفارغ واباطيل الدنيا ، وما الى ذلك ، وقد اخذت عثرات اللسان كما يراها ويعالجها ابن العبرى عنوانا لكلمتى •

مما لاشك فيه ان اسمى موهبة منحها الله للانسان هى موهبة النطق ، فالنطق وسيلة التفاهم والتخاطب بين البشر ، به تنطلق اصوات الترتيل والتسبيح ويتم التعليم والوعظ والارشاد والتقويم والتهذيب • وعن طريقه تدخل التعزية الى قلوب المتألمين والمتضايقين، وبه يدافع عن الحق «١بط ٣:٣» وعن المساكين والمظلومين ، كما انه وسيلة الربط وتمكين الحب ورسالته تتعدى الحياة الدنيا الى

الحياة العتيدة حيث يشارك البشر المرئيون وغير المرئيين تسبيحهم وتختلط اصوات بعضهم البعض مباركين الجالس على العرش الحى الى ابد الابدين ٠

واخطاء اللسان ليست وليدته انما تنتسب اليه ، وهى اخطاء عقل الانسان وما اللسان الا آلة يجسد فيها الانسان افكاره ومشاعره عندما يسىء استعماله ٠ لذا كان عليه ان يحسن استعماله لئلا يكون سببا لسقوطه وهلاكه ٠ هكذا فعل الاوائل من الصالحين الذين مرّنوا السنتهم على النطق بكلمة الحق فهذا داؤد النبى يقول « يارب من يسكن فى مسكنك ومن يحل فى جبل قدسك الا السالك بلا عيب الفاعل البر المتكلم بالحق فى قلبه ، الذى لايغش بلسانه »٠ وعثرات اللسان عند ابن العبرى عديدة ، وقد شرح كلا منها على حدى معطيا العلاج الناجع لكل منها ومن العثرات التى بحثها مايلى :

الكلام الباطل :ـ

وهو الكلام الذى لايضر الانسان ان سكت عنه ولايفيده ان لم ينطق به ، وهو وليد البطالة غالبا ، ويعالج بالخلود الى السكينة وتمرين اللسان على الصمت ٠

الهـــذر :ـ

وهو الاسراف فى الكلام ٠ وسببه قابلية الانسان على طلاقة اللسان والمغالاة فى سرد القصص دون مناسبة او داع ، ويعالج هو الاخر بالتزام الصمت ٠

الكلام الذى يسبب الخطيئة ضمنا :ـ

وهو سرد اخبار مجد الاشرار وانتصاراتهم وغناهم ، والاخبار التى اذا ماسمعها البسطاء ساءت نيتهم ونقص ايمانهم ويعالج هذا بما جاء بالمزمور « واما الاشرار فيبادون جميعا »

الخصـــام :

وهو العناد وعدم الطاعة وينتج عن الكبرياء التى تسوق الانسان الى تعظيم ذاته والبغضاء التى تجتذبه الى احتقار صديقه ٠ ويعالج الخصام برذل هاتين الرذيلتين الذميمتين ٠

المشـــاجرة :

وهى النزاع بالكلام الذى يثار اما من الظالم او من المظلوم فالاول يعالج بالآية القائلة « لاتظلموا احدا » واما الثانى فبالآية القائلة « من اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا »

الشـــتم :ـ

وبعثه اما قصـد الانسان اغـاظة المشـتوم ، او كون الشـتم عادة رديئة تأصلت بالانسان وتمكنت منه بمعاشرة الجهلة · ويعالج الشتم بالآية القائلة « من قال لاخيه راقا يكون مستوجب المجمع ومن قال يا احمق يكون مستوجب نار جهنم » · اما من توجه اليه الشتيمة فعليه ان ينسب ذلك الى خطيئته الذاتية لا الى من شتمه وبهذا ينجو من اغاظته ·

الحرم واللعنة :ـ

الحـرم هـو ابعـاد الانسان عـن اللـه · واللعنـة هى طلب الانسان الشر لغيره · وهناك من لايأخذ بالحرم واللعنة تمشيا مع كلام الرسول بولس القائل « باركوا ولاتلعنوا » اعتقـادا منهم بامكانية الرجوع عن الانحراف ·

الهـــزل :

هو الكلام الباعث الى الضحك ، ومن شـأنه ان يقلل الكـرامة وشبهه بعضهم بنوع من السموم التى تهب على الزروع ابـان الحصاد فتحرقها ويعالج الهزل بقـول الانجيـل المقـدس « ويـل لكم أيها الضاحكون لانكم ستحزنون » ·

السخرية :ـ

هى فضح مساوىء النـاس اسـتخفافا وبنـوع من الاحـتقار والازدراء · وتعالج السخرية بقول الانجيل « لاتحتقـروا أحد هؤلاء الصغار » ·

التعيير والاستهزاء :ـ

وهما اظهار عيوب الناس كرها او حقدا ، ويعالـجان بقـول

المرتل « طوبى للرجل الذى يسلك مع الرب وفى مجلس المستهزئين لم يجلس » ٠

الكـذب :ـ

وهو الاقرار بما لاوجود له كأنه موجود وبالموجود كأن لاوجود له، ويعالج الكذب بقول المرتل مخاطبا به الله «تهلك المتكلمين بالكذب» واعلم انه اذا قصد به فائدة روحية لايعتبر اثـما مثلما لم يحسب كذب المرأة المسماة راحاب اثما ، عندما اخفت الجاسوسين وانكرت وجودهما عندها ٠

الغيبـة :

وهى ذكر زلات انسان ما أمام شخص اخر فى غيابه ، وسبب الغيبة توهم مقترفها انه لايأثم باظهار زلات غيره ٠ فقد يغتاب انسان اخر بصيغة التعجب والشفقة كمن يقول مثلا : أعجبنى ذكاء فلان كيف سقط فى الفسق ، واسفى على فلان كيف انه أخذ فى السرقة ٠ ويعالج هذا المرض بان يحصى الانسان فضائل المغتاب فلا يذمه ٠

الوشـاية :

وهى ذكر السوء امام الانسان الذى قيل عنه واقترف ضده والغاية من الوشاية اما اساءة للقائل واما احراز رضا الذى قيل عنه السوء واذا كان الاخير عادلا ، لايصدق الواشى بل يحتقره ويوبخه ولايحقق معه مدققا وهكذا يغادر هذا خازيا ٠

الشـفاه الملقة :

الشقى صاحب الشفاه الملقة يمدح كلا من الخصمين امامه ، ويذمه وراءه ، ويعالج هذا الداء بقول المزمور « يقطع الرب جميع الشفاه الملقة » ٠

المـدح :ـ

يقترف المادح اربعة انواع من الاثم : الكذب عندما يقول عن

المر حلوا والمحاباة عندما يتطرف بالمدح ، والضـلالة عنـدما يقول مالايعرفه بدقة ، وسوء النية عندما يبهج الاثيم بمدحه. اما الممدوح فيناله شران : الغرور والكبرياء وكلاهما يعالجان بالصمت .

السذاجة بالكلام :

كأن يقول شخص لولا فلان لمزقنى الوحش . والجدير بـه ان يقول لولا أن الرب قيض لى فلانا لمزقني الوحش .

الفحص التافـه :

وهو استقصاء الانسان عن شيء لاتجدى معرفته فائدة او خيرا ولاينتج الجهل به خسارة ، كمن يستقصي عن اسم اب ملكي صادق.

على هذا النمط يحدد ابن العبرى خطورة عثرات اللسان مشيرا الى كيفية معالجتها على ضوء الكتاب المقدس . وحاثا المؤمن على ان يكون أنموذجا حسنا للاسـتخدام الصـالح للسـان تفاديا للعثرات وابتعادا عن الزلل والشطط ، وموجها اياه الى قول الرسـول بولس « لاتخرج كلمة رديئة من افواهكم بل كل ماكان صالحا للبنيان » .

الحُبُ الالهيّ كما يراهُ ابن العِبريّ

ـ الشماس غانم عبدالاحد الشمآني ـ بحزانى

انه لمن دواعي الفخر والاعتزاز ان يسطع فى مستهل القرن الثالث عشر كوكب وضاء في سماء كنيستنا السريانية ، انتشرت انواره ليس فى سماء الكنيسة فحسب بل وفى الارجاء القصية والبعيدة ٠

فعلامتنا أبن العبري والحالة هذه يعتبر وبحق درة لامعة فى قلادة ثمينة طوقت جيد كنيستنا السريانية ٠ وقد ذاع أسمه وطار صيته فى الآفاق حتى تكاد لاتخلو مكتبة شهيرة فى العالم من نتاج يراعه ٠ فهو اذا قدوة زمانه ، وشمس عصره وفريد ايامه فى علمه وادبه وامانته فى نقل الوقائع والاحداث بكل دقة ، فقد كان اشبه بمنارة فى وسط البحر الواسع يراها الناس عن بعد فيسترشدوا بها ويصلوا الى ميناء السلام ٠

أحب ابن العبرى العلم منذ صغره ، فدرس على مهرة الاساتذة فى ملطية مسقط رأسه ، وحيثما حل ، تغذى بعصارة المعرفة والعلم والحكمة ، فكان اشبه بالنحلة التي تمتص الرحيق من زهرة تلو اخرى لتصنع عسلا تقدمه طعاما للبشر ٠

اتقن اللغة السريانية والعربية واليونانية ، ثم الفارسية والأرمنية وتضلع من علم الكتاب المقدس شرحا وتفسيرا ، كما اتقن صناعة الطب وعلم البيان والمنطق والفلسفة ، واجاد فى علم التاريخ والفلك ، الامر الذى دفع بالمستشرقين والعلماء من مختلف الملل والنحل ، الى ان ينعتوه بدائرة معارف أو موسوعة علمية كبرى ٠

قال مارتن سبرنكلن الامريكى : « ان ابن العبرى اكبر كاتب فى تاريخ الادب السريانى باجمعه . فضلا عن كونه اعلم رجال عصره وقد سخر لكتاب الله العزيز علمه باسره فى مخزن الاسرار وكل من اللاهوتى والمؤرخ والباحث فى علم الانسان وفى النفس والفيلسوف يجد ذخرا لابحاثه فى هذا المصنف الجامع ألذى دبجه رجل القرن الثالث عشر » ٠

تطرق ابن العبرى فى كتابه الاثيقون الى مواضيع عدة ، فعالج بثاقب علمه وقوة درايته أبوابا وفصولا فى مواضيع كثيرة لامجال لبحثها الآن لاننا لو تطرقنا الى كل واحدة منها بالشرح والتحليل ، لضاق بنا الوقت ولم تسعها كتب ومجلدات،فاخترت بالذات موضوع المحبة أو «الحب» لانه لما اراد ان يكتب وصيته الاخيرة قبل أن تحلق روحه الى الاجواء العلوية ذكر تلاميذه بوصية السيد المسيح له المجد « بهذا اوصيكم ان تحبوا بعضكم بعضا » ٠

ينقل عن الاب اوغريس : « ان المحبة او الحب درجات ، أذ لايمكن ان تحب جميع الاخوة بدرجة واحدة ، ولكن يمكننا ان نقابل الجميع بقلوب متحررة من البغضاء والحقد ، فقد أحب الرب تلميذه الاصغر ، اكثر من الباقين » ٠

المحبة ترفع العقل الى اعلى فيتمتع بالنور الازلى الجميل ليرى مجد الرب وجها لوجه ، وقد قسم العلامة ابن العبرى المحبة الى خمسة أقسام :ـ

١ ـ المحبة الطبيعية : كمحبة الاباء والابناء والاخوة والاقارب ٠
٢ ـ المحبة الشرعية : كمحبة الزوجين ٠
٣ ـ المحبة القسرية : كمحبة السادة والعبيد ٠
٤ ـ المحبة العرضية : كمحبة الجيران والمرافقين فى الطريق ٠
٥ ـ المحبة الارادية : كمحبة الاصدقاء ٠

فالمحبة بانواعها احساس داخلى غير مسيطر عليه من قبل المحب، يرسم بوجهه البسمة ، ويزرع فى قلبه الفرح ، فيجعله يحب الناس ونفسه ويبني أمامه امالا يسعى المحب للوصول اليها ٠٠٠ اذ ليس أعذب من المحبة وليس أعظم منها ، فقد تكون مدعمة بالتضحية حتى

بالنفس وهذه هى محبة المسيح يسوع ، وندعم قولنا هذا بما قاله الرب فى كتابه العزيز : « هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لايهلك كلّ من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية »·

وقد يكون سبب الحب هو الأمل ، كمحبة الزوجين آملين ان يكونا اسرة قوية يباركها الرب ، أو حب العائلة الواحدة لكى يدعمها الرب برحمته ونعمته فتستمر قوية مباركة وتكون ركنا واساسا متينا لكنيسة الرب وملكوته على الارض وهناك محبة المحب لاجل ذاته ، وسببه ليس جمالا بل تجانسا خفيا سريا يشترك فيه شخصان لعلاقة خفية مشتركة بدليل ان كثيرين يحبون شخصا حتى الموت ايضا · وهناك من يحب الناس فى سبيل فائدة مادية وفى سبيل متعة زمنية أو غاية مبتذلة ، وبهذا تكون هذه المحبة كاذبة سببها الهوى ، فهى محبة ناقصة تزول بزوال المنفعة والمتعة ·

وهناك من يحب فى سبيل فائدة نفسية أو ذاتية كمحبة المعلم للتلميذ والمدرب للاعب وهذه المحبة مغرورة ليس لها أساس متين لانها قائمة على أساس تجميد الذات الانسانية أذ تزول بزوال اسبابها ، فالمحبة الحقيقية اذن هى المحبة التى تمنح السعادة، والراحة النفسية للمحب والمحبوب ، اذ أنها قائمة على اساس روحى متين ، وليس على اساس مادى زائل وطبيعى كمحبة الآباء والابناء والزوجين والاصدقاء، فالاعظم من جميعها محبة الرب القائمة على اساس التضحية والفداء بالدم ولاتعرف للذات والانانية معنى ·

فالشعور الذى يدفع الانسان الى المحبة شىء ما يدرك بواسطة الباصرة كالجمال الطبيعى الظاهر ، أو بحاسة الشم كالعطر ، أو بحاسة السمع كالانغام العذبة والموسيقى او بحاسة الذوق كالمأكل الشهية والمشروبات المنعشة ، أو بحاسة اللمس كالاجسام الناعمة ، أو بقوة العقل كشعورنا بلذة الفكرة من المعارف السامية فالميل الى اللذة العقلية طبيعى بدليل رغبة كل انسان · ان يسمع الامور الجديدة ويكتشف ماكان خفيا ومجهولا ·

فالحب اذا ليس جريمة أو خطية أن فهمناه على اساس روحى ، فهو رباط مقدس ولو ان الانسان الطبيعى والجسدى ذهب فى تفسيره مذاهب خاطئة ، فالحب الآلهى شىء ، والشهوة الجسدية شىء اخر · فالمحبة هى التى رفعت المسيح على الصليب فجذب اليه قلوب البشر

وافكارهم ، والمحبة هـذه عملت عـملها العجيـب فى قوى النفـس البشرية،وهكذا تراها تؤثر تأثيرا مباشرا فى ميلها الادبى والروحى. ومعنى هذا ان اهواء القلب العاملة بحسب الخطية بل فى الانسان ، تتغير تغيرا جذريا بعد خلع الانسان العتيق العامـل بحب شـهوات الغرور كما يقول الرسول بولص ، وقد أدرك هذه الحقيقة الالهـية روحيا علامتنا الكبير ابن العبرى لانه غاص فى اعمـاقها فوصـفها بانها تتسامى فوق عقول البشـر لانها نازلة من فـوق متجسـدة فى شخص المسيح المبارك باذلة مضحية متألمة ، فقـد أبدع فى وصـفها فألبسها ثوبا طاهـرا قشيبا بقوله : « أيها الحب الطاهر ان جمالك فاق كل جمال ، فطوبى للذى نقشك على لوح قلبـه ، ان اللـه قد أحبك وأحب من كلف بك ، والويل كل الويل للغبى الذى يجانبك ».

فالحب الالهى الخالد حب بلا مقابل ، مجانى يربط بين قلبين قلب الله فى محبته على الصليب مع قلـب الانسـان الذى يتعشـقه ويرتبط معه برباط الود . فليس هو حب رهبة بل حب رغبة ،ليس حب عمله المال أو نحته الخوف والتهديد والوعيد ، بل حب الشعور والاخلاص والتضحية والموت من اجل الغير ، فحـين يبطل كل شـىء تبقى المحبة خالدة باقية ، انها للمسيح الفادى كما يقـول الكتاب : « المحبة لاتسقط أبـدا ».

فلا يوجد لسان أو لغة تقدر أن تصف لنا عظم وسمو المحبة كما صورها لنا الله فى ابنه يسـوع المسـيح ، فهى أوسـع من البحـار والمحيطات واعمق من قلب الارض واعلى من السـماوات ، تمتد الى اليمين والى الشمال والى العلو والعمق لتحتضن من أحبته منذ البدء على الصليب فهى طاهرة نقية بيضاء ناصـعة كالثلج مكحلة عيونها ! وهكذا ان كان للنفـس محبـة للخطيـة وميـل لـلاثم وكـره للقداسة والبر حينئذ يمكن لنا ان نقول : انهـا اسيرة الابالسة والشياطين ومحكوم عليها بالهلاك الابدى .

ولكن النفس التى احبت المسيح لايمكن لها الا ان تكره الخطية والاثم ، ومن هنا يبدأ عمل المحبة التى دفعت المسيح طائعا مختارا لير تقى صليب المحبة ، ومن هنا يـبدأ عملها ، لان المحبـة هى تكميل الناموس ، ولاعجب ان يصفها صاحب النشيد بقوله : « المحبة قوية كالموت ، الغيرة قاسية كالهاوية ، لهيبها لهيب نار لظى الرب ، مياه

كثيرة لاتستطيع ان تطفىء المحبة والسيول لاتغمرها، ان أعطى الانسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقارا » ٠

ايها العلامة الكبير مار غريغوريوس فيلسوف الكنيسة ومنارها بدون منازع لايسعنى الان الا ان استحضر روحك الطاهرة لكى أقول: تمر الايام والاعوام وذكراك تتجدد فى القلوب فى كل مناسبة (لان ذكر الصديق يدوم الى الابد) ولازالت رائحتك العطرة تهب كل صباح كنسيم الصبح الهادى فتعطر ارجاء كنيستك برائحة أريجها الفواح طالما أحببتها ، فصارت ذكراك فى مؤلفاتك مملوءة بالمواعظ والعبر، وماخطه يراعك فى زمن قصير لايتناسب مع حجم ماخلفته من ارث ضخم لامتك العظيمة هـذه ٠

وها نحن جميعنا اليوم نقف بكل اجلال واكبار واحترام لنحيي ذكر بطل قلما تجود الايام بمثله فى كل حـقبة من التاريخ ، لانـه اقتفى اثار الاباء العظام الذين حفظوا لنا وديـعة الايمان والعقيدة القويمة الراسخة بكل امانة جيلا بعد جيـل وقبل ان اخـتم كلمتى المتواضعة هذه أقـول :

قفى ياكنيسة الله السريانية وتباهى برجال عظام أنجبتهم عبر قرون خلت من تاريخك المجيد ٠ وافرحى لانك سـتبقين حية خالدة مادمت تحصرين جهودك فى خدمة البشرية جمعاء ، فقد قدمت الكثير عن طريق الثقافة والاداب وصـنت الايمان والعقيدة بجهود خـيرة صالحة من آبائك العظام رغم الاضطهادات والنكسات وقسوة الايام التى اصابتك عبر تاريخك الطويل ، من الخارج والداخل ٠

وفى الختام ارجو أن يقتفى آباء الكنيسة ورجالها اثار السلف الصالح لرفعة شانها وانجيلها وتقاليـدها فيتمـجد ابن اللـه الازلى يسوع المسيح ٠ انه السميع المجيب آمين ٠

مصـادر البحـث

ـ الكتاب المقدس ـ الاثيقون لابن العبـرى ـ اللؤلؤ المنثـور للمرحوم البطريرك أفرام الاول ـ المجلة البطريركية الدمشـقية ـ مجلة رسـالة المحبـة ٠

الفلسفة الطبيعية عند ابن العبرى

ـ الافودياقون بهنام دانيال ـ برطله

ابن العبرى ، احد كبار فلاسفة الشرق تضلع من جميع علوم عصره ، وبخاصة الفلسفة بفروعها والعلوم اللاهوتية ٠

كان عصر ابن العبرى بداية فترة ركود فكرى عند فلاسفة العرب ، لانه عاصر الغزو المغولى(١) الذى عمل عابثا فى دوائر الفكر والمراكز الثقافية فى العراق ٠

ومع ذلك ، استطاع ابن العبرى الحصول على المعارف العلمية والفلسفية من منابعها الرئيسية ، فكان لفلاسفة اليونان وآرائهم لاسيما سقراط وافلاطون وارسطو تأثير مباشر فى فكره الفلسفى، كما تأثر بالفلاسفة العرب كالشيخ الرئيس ابن سينا ، والفارابى ، وابن عدى ، وفلاسفة المسيحية الاولين ولاسيما السريان منهم أمثال :

الرأسعينى ٥٣٢ + والرهاوى ٧٠٨ + وسابوخت ٦٦٧ + وجرجس اسقف العرب ٧٢٥ + وآحود امة ٥٧٥ + وابن كيفا ٩٠٣ + والدارى(٢) ٨٦٠ + والانطاكى وابن الطيب ١٠٤٣ + ويحيى النحوى وغيرهم من المفكرين الذين عملوا فى المجال الفلسفى٠

سلك ابن العبرى فى مجال الفلسفة الطبيعية مسلكا مشائيا(٣) بعد أن آمن بعملية خلق المادة من لاشىء وقد أخذ بآراء المعلم الاول

ارسطو الذى يدعوه استاذه وسار على طريقتها لاسيما فى المجلد الاول من كتابه « زبدة الحكم » واعتبرها امورا بديهية لفهم الفلسفة الطبيعية كما استطاع بدراساته ان يجرد المعلم الاول من الاضافات التى لحقت بأفكاره طوال القرون التى تلته(٤) ورفض ابن العبرى النظرة المثالية التى تبناها افلاطون واعتبرها اسلوباً غير مجد ولايؤدى الى الغاية المنشودة • وكان معجبا بأرسطو اعجاباً تاماً اذ اعتبره مرشدا تقتفى اثاره • لكن هذا لم يمنعه من ان يخالفه فى بعض الاحيان ، فقد أيده فى امور معينة وخالفه فى امور أخرى • عرف ابن العبرى الفلسفة الطبيعية بأنها « العلم الذى تتحد فيه الصورة بالهيولى وان موضوعه هو العالم المادى بأسره باعتباره مايتحرك ومايتغير دائما » •(٥) •

والفلسفة الطبيعية عنده تعنى دراسة الجسم بما هو جسم اضافة الى التغيرات التى تطرأ عليه فى جميع الحالات من حيث الحركة والسكون والتغير لان بواسطة هذه ندرك الخواص الضرورية الجوهرية وكذلك غير الضرورى ومعرفتها تحصل بواسطة الاحساس والعقل على السواء(٦) •

وقد خالف ارسطو فيما يتعلق بعلاقة الصورة بالهيولى ، واعتقد بأنه يمكن ان تقوم الصورة بدون هيولى واثبت من ذلك خلود النفس ايضا فهو يقول « ان الصورة ممكن ان تقوم بدون مادة ،ولكن المادة لايمكن ان تقوم بدون الصورة »(٧) •

واعتقد ابن العبرى بأن مادة العالم مبدعة من لاشىء وان الامور الاخرى فاضت من المادة المبدعة(٨) •

والمادة الموجودة فى الطبيعة ليست ازلية بل هى حادثة ويبرر أبن العبرى ذلك بقوله « انها فى حركة مستمرة وفى تغير والشىء الذى فى تغير لايمكن ان يكون ازليا بل هو حادث لانه يتخذ اشكالا عديدة وكل متغير حادث »(٩)•

اما فى موضوع هل العالم متناه او غير متناه فقد ذهب الى الاعتقاد بأنه متناه وسبب اعتقاده هذا ناتج عن عدم استطاعتنا معرفة الشىء غير المتناهى ، لانه لايمكن ان نحصره فى عقولنا لان المنحصر يجب ان يكون له حدود البداية والنهاية ، ولما كان العالم

عند فيلسوفنا منحصرا بين خطين منطلقين باتجاهين مختلفين ، وهذ عنده حقيقة ، وجب ان يكون تناهى العالم عنده حقيقة ايضا ، ولما كانت معرفتنا بهذا العالم على وجه نستطيع حصره ، كان العالم متناهيا ، لانه لو لم يكن كذلك لما كان باستطاعتنا حصره ، فاذن تناهى العالم حقيقة(١٠) ٠

وانتقد أبن العبرى آراء فلاسفة اليونان فى اصل الكون ، ورأى أن الآراء التى توصل اليها اولئك الفلاسفة كانت نتائج غير مرغوبة ومتناقضة ، فقد مالوا الى الاعتقاد بأن الماء هو العامل الاول فى نشوء الكون المادى ، واخرون توصلوا الى ان اصل الكون هواء، ومنهم من قال بأن اصل الوجود المادى هو الحرارة ، أما انا فأقول بأن العالم المادى الذى نشاهده بأم أعيننا نشأ من مبدأ غير مادى وبقوة العقل المفارق (الله) (١١) ٠

يتألف العالم عند أبن العبرى من ذرات مادية دقيقة ، لذا نجده يذهب الى استقصاء اصله ومبدئه من هذه الفكرة ، وكانت النظريات التى جاء بها متاتية من الحدس والتخمين والترجيح والاستنتاج ، وكانت النتائج التى توصل اليها تخالف آراء الفلاسفة الطبيعيين، لان اولئك قالوا بقدم العالم ، اما ابن العبرى فقد اعتقد بحدوث العالم ، وان هناك علة لحدوثه(١٢) ، وقال « ان العلة الاولى اى البداءة العامة والصانع الاول للكائنات الطبيعية هو الصانع الاول للمبادىء الاولى التى تبعتها اعمال اخرى ومادتها ، ويجب ان يكون مبدأ هذه الاعمال الطبيعية سابقا لها ، وليس ماديا مثلها ولاطبيعيا والا لكان سابقا لذاته وهذا محال ، فاذن هو العقل المفارق الاقدس، والروح العامل الذى يعمل فى كل كائن طبيعى »(١٣) ٠

مما سبق ومن خلال هذا البحث نجد ابن العبرى قد سار على نهج الفلاسفة الكبار كارسطو وابن سينا وغيرهم ٠ وحاول ان يوفق مابين الفلسفة والدين اى مابين العقل والنقل ، فقد استفاد من آراء الذين سبقوه والذين عملوا فى هذا المجال ، فأخذ من آرائهم وحججهم واهتدى باسلوب المنطق كى لايقع فى تناقض ٠

مصنفاته الفلسفية

وضع أبن العبرى ثمانية كتب ضخمة ، ستة منها فى السريانية والعربية واثنان منقولان عن العربية ٠

ان اعظم مؤلف فلسفى لهذا العالم الكبير ، ومن اجل ماخرج من قلمه موسوعته الفلسفية الكبرى « زبدة الحكم » الحاوية خلاصة البحوث الفلسفية من يونانية وسريانية وعربية ، وهو مجلدان ضخمان يقعان فى ٩٥١ صفحة ، المجلد الاول بحث فيه علم المنطق الفلسفى وهو تسعة كتب هى :

الايساغوجى ، المقولات العشر (قاطيغورياس) ، العبارة (بريرمينياس) الانالوطيقى الاولى اى تحليل القياس،الانالوطيقى الثانية أى البرهان ، كتاب طوبيقى أو ديالقطيقى وهو الجدل ، السوفسطيقى اى المغالطة او الحكمة الموهة ، ريطوريقى اى الخطابة ، فوايطيقى اى الشعر(١٤) ٠

والمجلد الثانى قسمان ، القسم الاول يتضمن ثمانية كتب هى :

كتاب السماع الطبيعى ويعرف بسمع الكيان ، كتاب السماء والعالم ، كتاب الكون كتاب الحيوان ، كتاب النفس ٠

والقسم الثانى ويشتمل على خمسة كتب هى :

الاول فى الفلسفة ، والثانى فى العلم الالهى ويسمى ايضا ما بعد الطبيعة ، والثالث الايثيقون اى كتاب الاخلاق(١٥) وفلسفة الآداب الخلقية ، والرابع فى علم الاجتماع والاقتصاد ، والخامس فى السياسة(١٦) ٠

٢ ـ كتاب تجارة التجارات فى المنطق والفلسفة وهو خلاصة كتاب زبدة الحكم ٠

٣ ـ حديث الحكمة فى المنطق والفلسفة ، وهو اربعة ابواب :

الباب الاول فى المنطق ، الباب الثانى فى العلم الطبيعى ، الباب الثالث فى واجب الوجود ، الباب الرابع فى نظام العالم والقضاء والقدر واللذات والنفس ٠

ترجمه الى العربية الفصحى ونشره بالطبع سنة ١٩٤٠م الطيب الاثر البطريرك افرام الاول برصوم ٠

الهوامش

١ ـ فى سنة ١٢٥٨م استولى المغول تحت قيادة هولاكو على بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم وانقرضت دولة العباسيين فعم

الخراب والدّمار جميع بلاد مابين النهرين وسورية ٠
٢ ــ المطران بولص بهنام ، الفلسفة المشائية ، ص٢٣
٣ ــ المشاؤون اتباع فلسفة ارسطو سموا كذلك اخذا من عادته ، فقد كان يمشي بين تلاميذه وهو يعلمهم ٠
٤ ــ الفلسفة المشائية ص٢٣و «النفس عند ابن العبرى» اطروحة ماجستير آداب فى الفلسفة ، كيورك مارزينا كرومى ص٩٩٠
٥ ــ أبن العبرى ، تجارة التجارات ، القسم الثانى ، المقدمة ٠
٦ ــ أبن العبري زبدة الحكم مج٢ ، جـ١ ، ك١ ، ب١ ، ف٣ نظرية٢ ٠
٧ ــ ابن العبري ، زبدة الحكم مج٢ ، جـ١ ك١، ب١ ف٤ نظرية٤٠
٨ ــ ابن العبرى ، حديث الحكمة،الباب الثالث ، الفصل ١٩ــ٢٠٠
٩ ــ ابن العبرى ، زبدة الحكم مج٢ ، جـ١ ب١ ف٣ نظرية ٣ ٠
١٠ــ ابن العبرى ، حديث الحكمة ، الباب الثانى ، الفصل الثانى٠ واطروحة النفس عند ابن العبرى ص١٠٢ ٠
١١ــ ابن العبرى ، منارة الاقداس ، ورقة ٤٠٠ ٠
١٢ــ النفس عند ابن العبرى ، كيورك مارزينا كرومى ص٩٩ ٠
١٣ــ ابن العبرى ، زبدة الحكم ، الجزء الثانى ، السماع الطبيعى الباب ١ ، النظرية ٦ ، الفصل ٤ ٠
١٤ــ اللؤلؤ المنثور ، ط٢ حلب ، ص٥١٧ ٠
١٥ــ ترجمه الى العربية وكتب مقدمته الملفان المرحوم المطران بولس بهنام مطران بغداد والبصرة ونشره بالطبع سنة ١٩٦٧٠
١٦ــ انظر اللؤلؤ ص٥١٩ والفلسفة المشائية ص٢٢ ٠
١٧ــ راجع بخصوص مؤلفاته بصورة مفصلة كتاب اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم ، والآداب السريانية ٠ تاليف البطريرك افرام الاول برصوم ص٥١٣ــ٥٣٣ ٠

نظرة ابن العبري الى الصوم

خليل ابراهيم حنا ـ بعشيقة

من المواضيع التى تهم حياة المؤمن والتى تطرق اليها العلامة ابن العبرى فى كتابه «الايشيقون» موضوع «الصوم» وهو فى المسيحية وضع الهى وتنظيم كنسى • ويراه ابن العبرى سببا فاعلا فى اخماد الميول المادية عندما تسيطر على الانسان • ومن هذا المنطلق اعاره اهتماماً بالغا ولاسيما وهو ينشد من كل ماكتب تنقية النفس وتطهير القلب لاعداد المؤمن للارتقاء الى اسمى درجات الكمال الممكنة •

ومن هنا فالصوم هو اكثر من عملية اذلال الجسد ، فهو الصبر وهو المحبة والتقوى والرحمة وسواها من الفضائل • لذا كانت له غايات مقدسة وبركات جليلة وفيرة ، وهو فى الوقت نفسه تلك القوة التى تسمو بالنفس البشرية عن الادناس والعيوب ، وبها تتحد بالله وتستقر فيه • وهو تلك القوة الفعالة التى تطهر القلوب وتوجه النفوس الى البر والى الله كما يقول النبي يوئيل « قدسوا صوما ، نادوا باعتكاف » •

ان حرصنا على نفوسنا وعلى الفوز بالحياة الابدية يقضى علينا ان نلجأ الى الله بالصوم كما يقول احد الافاضل « صم لانك اخطأت، وصم لئلا تخطىء » فالصوم اذن هو الدليل على حزن قلوبنا وتوجعها من الانحراف عن الطريق الذى دعينا لنسلك فيه حتى نؤهل لملكوت الله ومجده ، انه الطريق الى الايمان والبر والقداسة والكمال •

وهو احدى علامات التوبة الحقيقية والرغبة الصادقة في اصلاح السيرة وتقديس الحياة وتكريسها الكامل لله • الا يذكرنا الكتاب بنينوى تلك المدينة العظيمة عندما زاغت وفسدت كيف ارسل الله يونان لانذارها فآمن اهلها ونادوا بصوم ولبسوا المسوح وصرخوا الى الرب ورجعوا عن طريق الشر فسامحهم الله لانه رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر (يونان ٤:٢) ؟

ان الصوم لايفتح امامنا منفذا من الضيقات والضربات فحسب، بل يمنحنا القوة الكافية لمقاومة الفساد ، ويقدس العواطف ويطهر الضمير ويقوى الارادة • لانه اذا كان الجسد يشتهي ضد الروح فلأنه عبد للخطيئة • لكن بالصوم نعطى الفرصة للروح لكى تعمل فينا فتُميت اعمال الجسد وتعتقنا من ناموس الخطيئة • وقد عدد الرسول بولص اعمال الجسد في رسالته الى غلاطية حيث يقول : « واعمال الجسد ظاهرة ، التي هي زنى ، عهارة ، نجاسة دعارة ، عبادة أوثان سحر، عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة »• اذن بالصوم نستطيع ان نقاوم تلك الاعمال ، وأن نحصل على القوة الروحية لمقاومة تجربة ابليس • الا يذكرنا صوم الرب له المجد باهمية الصوم عندما قال لابليس « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » (متي ٤:٤) ؟

وان علامتنا الجليل ، نظرا الى فكره الثاقب وعقله النير وتجربته الرائدة ، ادرك اهمية الصوم فاسهب في هذا الموضوع مقسما اياه الى سبعة فصول ، فيها يشرح الهدف من الصوم فيقول « انه التخلص من ثقل الاطعمة الدسمة التي تسدل ستار الظلام على بصيرتنا وتمنعها من رؤية الامور الروحية ففي الانقطاع المتواصل عن الطعام تخمد الاهواء المنحرفة والميول البشرية فتصقل مرآة النفس وتصبح كاملة وصالحة لانعكاس الصور الروحية • والصوم عنده ثلاثة طرق :

١ ـ الانقطاع الكلى عن الطعام نهارا وتناول جميع الاطعمة ليلا ، وهو صوم اليهود •

٢ ـ الانقطاع عن اكل الاطعمة الدسمة وعن لحوم الحيوانات ومنتجاتها والاقتصار على تناول الاطعمة البسيطة •

٣ ـ الانقطاع التام عن الطعام نهارا وتناول الاطعمة البسيطة

ليلا · وهنا يحدد ابن العبرى اهم الاصوام وافضلها فيقول

بما ان الرسل القديسين حددوا صـوما فى قوانينهم لكن دون أن يوضحوا كيفية هذا الصوم ، لـذا اختلفت تقاليـد الصـوم عند المسيحيين ، غير انه يفضل النـوع الثالث لان الاول لايخدم اهـداف الصوم بصورة صحيحة · والثانى هو وسـط بـين الاول والثالث · والصوم عند ابن العبرى عام ، وخاص واخص ·

فالعام يعنى الانقطاع عن الاكل والشـرب نهارا وليـلا · اما الصوم الخاص فبالاضافة الى الانقطاع عن الطعام فهو ايضـا توقف الحواس عن الاهواء الشريرة · والصوم الاخص ويشمل بالاضافة الى ماتقدم ، صوم النفس عن الافكار الشريرة · وبهذا النوع من الصوم تتوهج النفس وتضىء وتعود الى جمالها الاول وتتسـامى الى درجة الكمال ، وتصبح شبيهة بالملائكة · ويشترط فى هذا الصوم الحذر من تدنيس النفس ولو بفكرة واحدة آثمة · وهذا الصوم هو لجميع المؤمنين وفيه يحدد نقاطاً مهمة يجب مراعاتها وهى :

يجب على المؤمن ان يعرف اوقـات الصـيام على مـدار السـنة ويلاحظ الصوم الاربعيني وان يقرن الصوم بالصـلاة وطلب العون من الرب لمساعدته على الاستمرار فى الصوم · كذلك ان يكون الصائم حذرا من تناول اى شىء اثناء الصيام · اما المرضى فيعطون الفقراء طعاما بدلا عن صومهم · ولكى يكون الصوم نقيا ومقبـولا ومثمرا يجب ان تراعى فيه الامور التالية :

١ ـ اغماض العينين عن النظر الى كل مايعطل العقل عن ذكر الله واحكامه الرهيبة ·

٢ ـ صيانة اللسان من الكذب والنميمة والازدراء والشتم والكلام الباطل ·

٣ ـ سد الاذان عن سماع الكلام القبيح اثناء الصلاة ، كف اليدين عن الضرب والرجلين عن السعى الى الشر ·

٤ ـ الحذر من اكل ماجاء عن طريق الظلم والحرام ·

٥ ـ ان يقرن الغنى صومه بالرحمة لان الرحمة تعادل الصوم ·

٦ ـ واخيرا واهمها ان لايتظاهر الصائم بالصوم ويتبجح كالمرائين

كقول الكتاب « متى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين فانهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين » ٠

ويؤكد ابن العبرى ان الصوم يقطع دابر الشرور ويستأصلها من اعماق القلب ٠

ويختم علامتنا موضوعه عن الصوم بذكر الامور الممنوعة اثناء الصوم كما جاءت فى القوانين الكنسية ، ومنها قانون الرسل الذى يمنع الصيام ايام الآحاد والاعياد ، تحت طائلة القطع ٠

ويؤكد مجمع غنغره (٣٤٥)م عدم جواز الصيام ايام الاحاد حتى لغرض النسك ٠ ويؤكد القديس يعقوب الرهاوى (٧٠٨)م على الابتعاد عن الخمر ايام الصوم الكبير ٠

هذا مجمل حديث علامتنا ابن العبرى عن الصوم ، وأملي ان اكون قد وفيت الموضوع بعض حقه ، وان يكون فى الوقت نفسه ، لخير النفوس المؤمنة التى تتخذ من الصوم سلما لسلوك طريق السماء والوصول الى الغاية القصوى ، والتمتع فى الملكوت الابدى صحبة السلف الصالح الذى سبق وسلك هذا الطريق عينه ٠

ابن العبري المؤرخ

ـ الافوديافون ابراهيم الياس شابا ـ برطلة

منذ اقدم العصور والانسان يدون تاريخه ، والقدامى يخلدون احداثهم وانجازاتهم على الواح طينية او حجرية ثم على الرق ، واخيرا على الورق وغيره · واستمر الامر كذلك وتطور الى مايسمى بعلم التدوين التاريخى والى التاريخ وفلسفته ·

فالتاريخ اذن هو تجربة البشرية الذى يتيح لها الامتداد فى مضمار النمو والتكامل بالاستفادة من الماضى · والمجتمع المتقدم هو وليد التاريخ وصانعه فى آن واحد · وكما يوجد لكل امة او شعب تاريخه ، كذلك السريان والكنيسة السريانية لها تاريخها ورجالها الذين دونوا هذا التاريخ · وقد بدأ التاريخ السريانى منذ حقب سحيقة على هيئة مدونات اولا · ثم تواصلت حلقاته ضمن كتب تاريخية نفيسة لم تنقطع حتى العصور المتأخرة ، ولولاها لظلت احداث قرون بكاملها طى النسيان غارقة فى ظلام كثيف ·

وتميز المؤرخون السريان بالواقعية ، ومصنفاتهم فى هذا المضمار رصينة امينة ، موثوق بها · ومواضع النقد فيها يسيرة ـ تتناول حقيقة الاحداث ، لاتنظيمها فقط ·

وللعلامة ابن العبرى شهرة مستفيضة فى علم التاريخ · وقد ترك لنا ثلاثة كتب تاريخية قيمة تضعه فى مصاف كبار المؤرخين الثقات · وقد انطوت على صفحات مشرقة جدا من تاريخ الكنيسة السريانية وهى حجة ومرجع اساس لاغنى عنه لكل مؤرخ سريانى عقبه ·

وهذه الكتب هى :ـ

١ ـ « تاريخ الزمان السرياني » ومايسمى بالتاريخ المدنى ، بدءا من الخلقة وحتى سنة ١٢٨٥م· اختصر فيه تاريخ مار ميخائيل الكبير وحشاه بفوائد جمة ، وأتمه حتى عهده ، اقتباسا من مصادر سريانية وعربية وفارسية · وذيله اخوه الصفي مابين سنة ١٢٨٦ ـ ١٢٩٦م وهو يتضمن تاريخ العالم والدول والعلماء بغاية مايكون من الضبط والدقة · ويتناول بوجه خاص منطقة الشرق ومايتعلق بها من احداث ، واحداث العالم المعروف يومذاك · وتتجلى اهمية الكتاب بالتفاصيل التى اوردها للاحداث التى عاصرها او شاهدها عن كثب وبالاشخاص الذين عرفهم او سمع عنهم · وطواه على ٣٣٢ فصلا · وقد نشره لامى فى لوفان مع ترجمته اللاتينية عام ١٨٧٢م ·

٢ ـ « تاريخ مختصر الدول » بالعربية الفصحى نقله من السريانية بتصرف قبيل وفاته وانجزه الا ثلاث صفحات فى مدة شهر واحد ·

ان هذا الانجاز الهائل لدلالة واضحة على سعة اطلاع علامتنا ومعرفته الدقيقة بالتاريخ ، اذ يصعب على المؤرخ ان يصنف كتابا كهذا بما حواه من الاضافات والاختصارات فى فترة قصيرة قياسية من الزمن · وقد ضمنه فوائد تتعلق بعلماء العرب المسلمين نقلا عن مؤرخين عرب ، اورد بعضها نصا وبالحرف الواحد ، غير انه اسقط أحداثا تهم علماء المسيحيين · ورتبه على عشر دول هى على التوالى :ـ

دولة الاولياء ، دولة قضاة بنى اسرائيل ، دولة الملوك « وهذه الدول الثلاث هى بحسب ماورد فى اسفار العهد القديم » · دولة ملوك الكلدانيين ، دولة الفرس ، دولة اليونانيين الوثنيين ، دولة الفرنج الرومانيين ، دولة اليونانيين المتنصرين، دولة العرب المسلمين دولة المغول · صفحاته ٥٢٢ ·

ومما جاء فى مقدمته ، طبعة الاب صالحاني سنة ١٨٩٠م قوله « فهذا مختصر ، قصدت فى اختصاره الاقتصار على بعض ما اوتى فى ذكر امتصاص احدى فائدتى الترغيب والترهيب من امور الحكام والحكماء خيرها وشرها على سبيل الالتقاط من الكتب الموضوعة فى هذا الفن بلغات سريانية وعربية وغيرها ، مبتدئا من الخلقة ومنتهيا

الى زماننا ، وهو مرتب على عشر دول داولها الله تعالى بين الامم »٠ وقد مر ذكرها اعلاه ٠

اما الداعي الى تأليفه فهو بحسب رواية شقيقه برصوم الصفى، انه لما فشت التعديات فى نواحي نينوى ، الحّ عليه فى الانتقال الى مراغه ، واذ كان هناك معززا مكرما من الناس جميعا ، تقدم اليه بعض وجهاء العرب المسلمين طالبين ان ينقل كتاب التاريخ الذى وضعه بالسريانية الى العربية ، فلبى طلبهم ونقله كما اسلفنا ٠ وقد اضاف اليه امورا كثيرة لاتوجد فى تاريخه السريانى المطول ولاسيما مايتعلق بدولتى الاسلام والمغول ٠

وقد جمع فيه اخبار الايام فى غاية الاختصار وتميز على سائر الكتب التاريخية بالاقبال الشديد عليه ، وذلك لصدق كاتبه وامانته فى الكتابة والنقل من جهة ، ولانه خلا من كل مالايحفل به ولافائدة منه من جهة اخرى ، ولسعة اطلاع مؤلفه ، ولما عرف عنه بالبحث الدقيق وتمييزه غث الاخبار من سمينها ، واختيار الافضل والاقرب الى الحقيقة ٠ فروى كل ماروى عن خبرة ، وذكره على الحالة التى وقعت ، « فكأنه أخذ صور الوقائع والسير والتراجم على ضياء الشمس لارسم القلم » ، وقد استقى الحقائق من ينابيع المؤرخين العرب الثقات كالطبرى وابن الاثير وغيرهما ٠

٣ ـ « التاريخ الكنسي » ان تاريخ علامتنا الكنسى يزودنا بمعطيات ثمينة جدا عن تاريخ الكنيسة السريانية فى العراق لاتجدها عند سواه ، وهو مجلدان ٠

أ ـ تاريخ بطاركة انطاكية : منذ عهد القديس بطرس هامة الرسل حتى سنة ١٢٨٥م اى حتى عهد البطريرك فيلوكسينوس نمرود ٠ وفى مقدمته جدول احبار العهد القديم بدءا من هارون الى حنان فى عصر السيد المسيح ٠

ب ـ تاريخ جثالقة المشرق ومفارنته : منذ ايام القديس توما الرسول وختمه بترجمة مسهبة لنفسه الى سنة وفاته ٠ ثم جاء آخوه المفريان الصفي الذى خلفه على كرسى المفريانية واكمله حتى سنة ١٢٨٨ ، ثم تبعه كاتب اخر مجهول فاضاف اليه حتى سنة ١٤٩٦م ٠ وفى اوله تراجم تتعلق بالقرون الثلاثة الاولى ٠

ولمخطوطات كتب التاريخ الثلاثة نسخ عديدة فى امهات المكتبات العالمية ، منها : مكتبة اكسفورد والفاتيكان وباريس وغيرها ٠

هذا ماتركه لنا هذا العلامة الجليل فى الناحية التاريخية ٠ انها بحق موسوعة تاريخية جمعت بين طياتها اخبار الدين والدنيا ٠

ومع غزارة علومه وتعددها كان ماهراً فى جميعها٠ وهذا مادعا الى اضفاء القاب متعددة عليه منها «دائرة معارف القرن الثالث عشر»

فاذا تأملت مصنفاته ، وتنوع علومه ، ايقنت انه كان اغزر علما واعلى كعبا من جميع علماء السريان الذين كان لهم باع طويل فى عالم المعرفة ٠ ومما قاله فى خضم حياته الدراسية « كان ضميرى يؤنبني احيانا وهو يخاطبنى بقوله : لاتهذ ولاتظن ان كل مالاتعرفه ليس بموجود ، لان ماتعرفه هو اقل بكثير مما لاتعرفه » ٠

ولهذا ، فالكنيسة السريانية الارثوذكسية تفتخر وتعتز باقامة المهرجانات بيوبيله المئوى السابع ٠ فهو فخر السريان حقا ، تلهج السنتهم بذكره فى كل مناسبة لان « ذكرى الصديق الى الابد » ٠

مصادر البحث :ـ

اللؤلؤ المنثور :ـ البطريرك افرام الاول برصوم ٠

تاريخ مختصر الدول :ـ مقدمته ـ طبعة الاب صالحاني ـ بيروت ٠

المجلة البطريركية الدمشقية السنة الثانية العددان ١٩ ، ٢٠ بحث للمطران صليبا شمعون ٠

المطران اسحق ساكا : السريان أيمان وحضارة ـ الجزء الثالث مجلة المجمع العلمى العراقى ٠ المجلد الخامس ـ المطران زكا عيواص (قداسة البطريرك حاليا) ٠

مجلة المجمع العلمى العراقى ـ المجلد السابع :ـ د٠ يوسف حبي مجلة بين النهرين السنة الاولى ـ العدد الثاني

مصادر كنيسة المشرق قبل الاسلام (حنا فيي ـ جاك اسحق) ٠

مَفْخَرَةُ السِّرْيَان
أَبُو الفَرَجِ ابْن العِبْرِيّ المِلْفَان

ـ مؤيد القس هادى

تعجب من عجائبه العجيب وسائل عن قداسته الغريب
سرورا أعطني فأنا المعنى لدير فيه يرتاح التعوب
أتيت من الاقاصي ياحبيبي لأظفر بالذى يهب الحبيب
أحقا ماسمعت من الحكايا ؟ عن الشيخ العظيم أنا الكئيب
نعما مار متى ٠٠ للبرايا رؤى فواحة ٠٠ أملا ٠٠ طبيب
يعبىء من شواطئه العطاشى فتغفر بالرجاء ٠٠ لهم ٠٠ ذنوب
بحيرة نعمة ياللتسامي تفجر لايغازله النضوب
حباه الله مجدا لايبارى ففاضت من أطايبه الطيوب
أبا البركات أكراما أتينا لديرك ، أذ ٠٠ تخيرنا النصيب
تدفق من تلهفنا أبتهاج تأجج فى جوارحنا اللهيب
وضج وجيب فرحا بلقيا منى ٠٠ عبقت ٠٠ يضج لها الوجيب
وحرك مايزاحمنا أشتياق لينظر فى مسائلنا المجيب

اثمة من يردد ماهزجنا وثمة من تعاكسه الكروب
أسائل أى مبتسم لماذا ؟ يكلفنا الزمان بما يشبب
فيحبك من تحاورنا أمتعاضا تأوه من تفاهته الشحوب
ويوقد فى مواقدنا أزدحاما تململ من لجاجته الدبيب
كفى فالبر فى مهج النصارى مع البشرى غمامات حلوب
لعمرى أن بيرقنا تعلى فهيا من خطايانا نتوب
نطالب بألتقى القديس متى بجاهه المرتجى عنا ينوب
بديرك شاد غزلان المسيح صروحا فوقها حط الصليب
فأشرق نور من بهر البرايا وراح يشع موكبه المهيب
بديرك للهدى سطعت شموس ففاضت ... مالها حتما غروب
أبو الفرح أبن العبرى فى أقتدار بهاتيك الربى أضحى يجوب
تؤسس دولة الفكر المصفى فأنه منهل سمح ... سكوب
سعى للدير خيمته الامانى خيوط لحمتها العمل الدؤوب
تقي .. ناسك .. متعهد .. لا يمل . ولايكل . ولاتطيب
له الدنيا .. يليق به التغني برب العرش .. عالمه .. رحيب
ونفسه فى خشوع .. فى جلال تروح لتنهل الطوبى .. تؤوب
لتقبل فى سبيل الله .. ضيقا بكل الشوق لو هجمت خطوب
أبو الفرج المعمد فى ملطيا شعاع الدين مزدان قشيب
بنو السريان نحن .. أذن نباهي (بملفان) . دعا (ياناس توبوا)
بما فوق الطبيعة فى أنسجام تراهن أن عالمنا جديب
له .. فى (زبدة الاسرار) سر تعامى عن (شرارته) اللهيب
وفى (الاحداق) أورى بأجتهاد علوما لاتصافيها الغيوب

بما يحوى (الحمامة) ..أنتشينا عطاء .. مسكر..كرم خصيب
(منارة قدسك) الروحى دهرا تذوق مـن معانيهـا السـغوب
وجوهر (لمع) يزهيـك ضـوءا تغذت من عرائسـه الشـعوب
ومن ترهاف حكمتك أسـتطعنا نغنـي مايغنيـه النحيـب
لأنـت الانـت ياولهـا تعنـى لدنك شاعر..أو..أو اديـب
فراح يمازج الفـرح المرجـى وقد أرخى سـتائره القطـوب
أبا الفرج أنتشلنا مـن ظـلام بجاهك ترتمي..ترجوم لقلوب
دعاءك ، حبك الموحي خلاصـا فأن زماننا زمـن .. عصـيب
عطايا الله غايتنا..وسلوا .. ننا .. فيها ، لنأ ، أمل قريـب

المحتـــويات

	الصفحة
المقدمـــة	٧
عرض تفصيلي للمهرجان	١١
نـــدوة ابرشية الموصل	
كلمـــة الترحيب	١٥
لمحات من حياة العلامة ابن العبرى	١٩
ابن العبرى والتشريع	٢٧
ابن العبرى وفلسفة الاخلاق	٣٩
جوهرة السريان (قصيدة)	٤٧
المفريان ابن العبرى	٥١
ابن العبرى (قصيدة سريانية)	٥٩
ترجمة القصيدة السريانية	٦١
المحبة والمجتمع فى فكر ابن العبرى	٦٥
أضواء على مؤلفات ابن العبرى	٧١
خواطر فى ابن العبرى	٧٧
العلامة ابن العبرى (قصيدة)	٧٩
ابن العبرى والكتاب المقدس	٨١
نـــدوة ابرشية بغداد والبصرة	
كلمـــة الافتتاح	٨٥
الفلسفة والاخلاق والدين عند ابن العبرى	٨٧
جولة فى كنوز ابن العبرى	٩٩
ابن العبرى اديبا وشاعرا	١٠٩
ندوة ابرشية دير مار متى	
كلمـــة الافتتاح	١١٩
ابن العبرى زينة مفارنة المشرق	١٢١
عثرات اللسان	١٢٩
الحب الآلهي كما يراه ابن العبرى	١٣٥
الفلسفة الطبيعية عند ابن العبرى	١٤١
نظرة ابن العبرى الى الصوم	١٤٧
ابن العبرى المؤرخ	١٥١
مفخرة السريان (قصيدة)	١٥٥

رقم الايداع ١١٦٤ فى المكتبة الوطنية ببغداد لسنة ١٩٨٧

ابن العبري

ذكرى وعبرة

خدخد

اليوبيل المئوى السابع لوفاة العلامة ابن العبرى

« فى العراق »

إعداد وتنسيق

صليبا شمعون

مطران الموصل وتوابعها للسريان الأرثوذكس